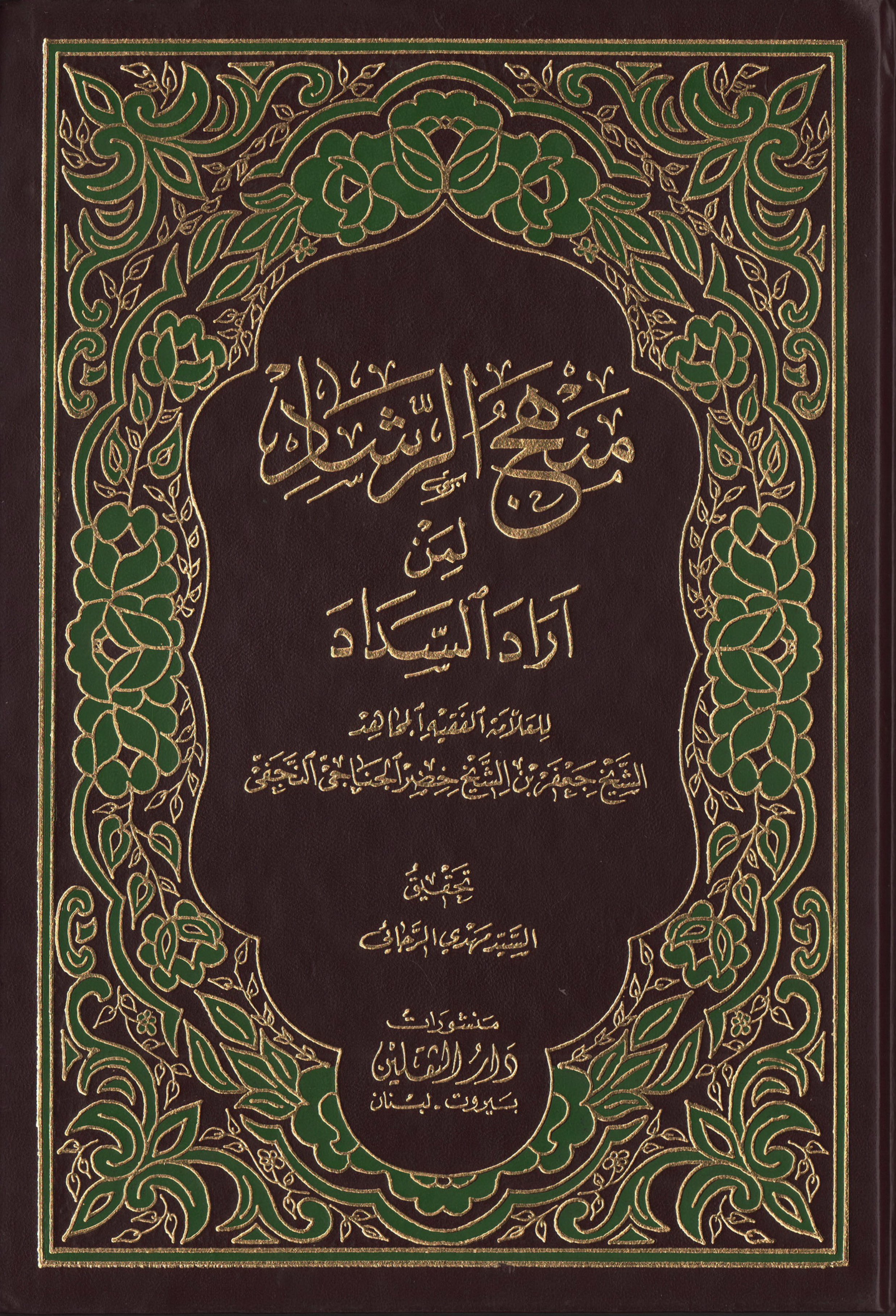
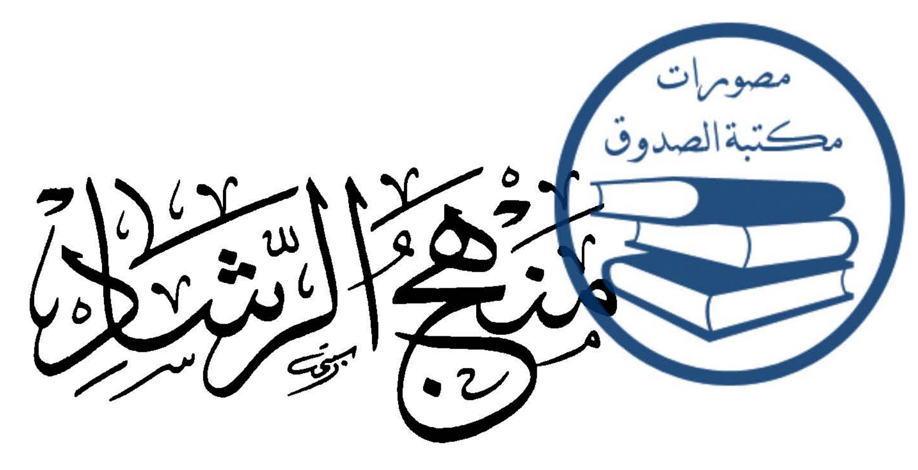

منهج الرشاد
لمن
اراد السداد
للعلامة الفقيه المجاهد
الشيخ جعفر بن الشيخ خضر الجناجي النجفي
تحقيق
السيد مهدي الرجائي
منشورات
دار الثقلين
بيروت - لبنان





منهج الرشاد

لمن أراد السداد

للعلامة الفقيه المجاهد

الشيخ جعفر بن الشيخ خضر الجناجي النجفي

١١٥٦ ـ ١٢٢٨ هـ

تحقيق

السيد مهدي الرجائي

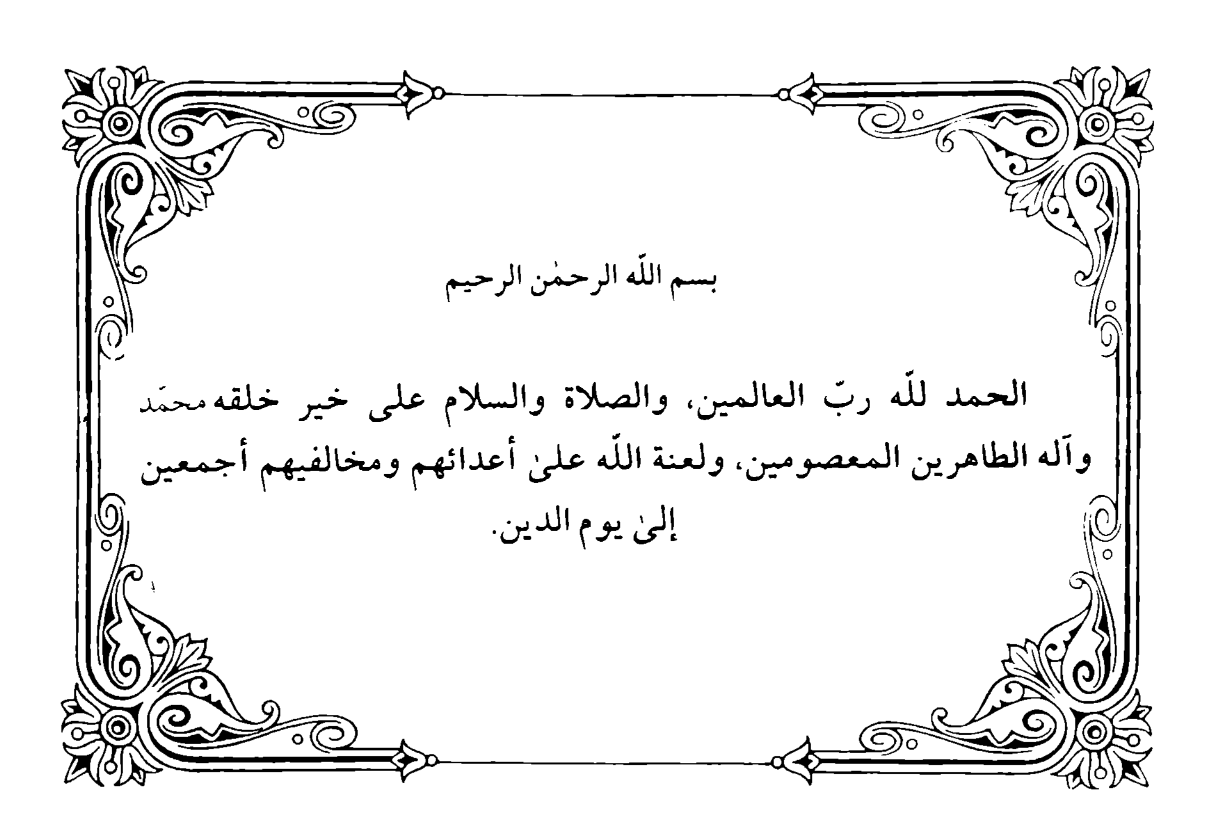
منشورات
دار الثقلين
بيروت ـ لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م



لبنان - بيروت - بوليفار الغبيري - خلف بنك الجمّال - بناية عبد زين فارس
ص.ب: ١٧٩/٢٥ الغبيري - تلفون: ٨٢٦٢٣٥ - فاكس: ٠٠١٢١٢٤٧٨١٨٢٧



بسم اللّٰه الرحمٰن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمّد وآله الطاهرين المعصومين، ولعنة اللّه علىٰ أعدائهم ومخالفيهم أجمعين إلىٰ يوم الدين.



بسمه تعالى

تقدم **دار الثقلين للطباعة والنشر والتوزيع** بين يدي القاريء العزيز كتاباً قيماً ومصنفاً مهماً، انطلاقاً من واجبها في رفد المثقف والمحقق بعيون التراث الاسلامي الناصع، والفكر الهادف، والمعارف الاسلامية الصحيحة.

والكتاب هو «**منهج الرشاد لمن اراد السداد**» مناقشة وردّ وتفنيد لمزاعم وشبهات ظهرت في عصر مؤلفه العلامة الفذ **الشيخ جعفر الكبير صاحب كشف الغطاء**، واتخذت طابع دعوة حاولت هدم عقائد المسلمين، والنيل من فكر اهل البيت عليهم السلام، مستترة بالدين، فتصدى رحمه الله بما منحه الله تعالى من غزارة علم، وسداد رأي، واطلاع كبير على تفنيد مزاعمها ، بالدليل القاطع والبرهان الساطع، معتمداً على ما ورد في صحاح السنة وكتبهم ، ليكون أبلغ في الحجة وأقرب للقبول.

ونحن اذ نخرج هذا الكتاب ـ للقاريء ـ من جديد بحِلة رشيقة، وطبعة مصححة أنيقة، مزدانة بالتحقيقات اللازمة لتمام الفائدة ؛ نأمل ان نكون قد أسدينا خدمة للدين والعلم والثقافة الهادفة، وساهمنا في نشر اثر مهم من مدرسة أهل البيت عليهم السلام الذين هم عِدْلُ الكتاب.

ومن الله نستمد العون .

دار الثقلين

للطباعة والنشر والتوزيع

ترجمة المؤلّف

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

اسمه ونسبه:

الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر بن يحيى بن مطر بن سيف الدين المالكي القناقي ـ الجناجي ـ النجفي.

والمالكي نسبة إلىٰ بني مالك إحدىٰ قبائل العراق، وهم المعروفون الآن بآل علي، وهم طائفة كبيرة الآن في نواحي الشاميّة، وبعضهم في نواحي الحلّة.

وفي كتاب أنساب القبائل للسيّد مهدي القزويني: بنو مالك في العراق إسم لبني زريق وبني علي والعوابد وبني الحسناء.

وفي المستدرك: انّهم ينتسبون إلىٰ مالك الاشتر، وقد أشار الى ذلك العالم النحرير الأجلّ السيّد صادق الفحّام الذى هو من العلماء الاعلام، فى قصيدته التي يرثي بها الشيخ حسين أخا المترجم:

يــا أيّها الزائــر قــبراً حــوىٰ   مــن كــان للعليـاء إنسـان عـين.

إلىٰ أن قال:

يــــامنتمي فـــخراً إلىٰ مـــالك   مـــا مـالكي الاك فـى المـعنيين.

وقال مادح أهل البيت الشيخ صالح التميمي الحلّي في قصيدته التي يهنّىء بها الشيخ محمّد سبط الشيخ الأكبر بزواجه بامرأة من شيوخ آل مالك ورؤسائهم الذين كانوا في الدغارة:

رأي درّة بيضـاء فـي آل مـالك   تضيء لغـوّاص البحـار ركـوب

رأي أنّـه أولىٰ بهـــا لقـــرابــة   تضمّنهـا أصـل لخـير نـجيب.

والقناقي نسبة الى قناقية، ويقال لها اليوم: جناجية، وهي قرية من أعمال الحلّة، أغلبها من أملاك أحفاد المترجم الى هذا التاريخ.

وفي الأعيان: والجناجي نسبة إلىٰ جناجية أو جناجيا بجيم مفتوحة ونون وألف وجيم مكسورة مثنّاة تحتيّة مفتوحة وهاء وألف، قرية من أعمال الحلّة، وأصلهم من آل علي المقيمين فيها، وأصل اسمها قناقيا،ويلفظها العرب جناجيا على قاعدتهم في إبدال القاف جيماً، ولذلك نسبه السيّد محمّد الهندي فى نظم اللئالي: القناقناوي.

وقال فى معارف الرجال: نسبة الى جناجة، وهي احدى قرى العذار فى الحلّة الفيحاء، وكان توقيعه جعفر الجنيجاوي، هكذا وجدناه في ورقة بيع بخطّه وخاتمه.

الإطراءعليه:

قال تلميذه العلامة صاحب مفتاح الكرامة في مقدّمة كتابه: الإمام العلاّمة، المعتبر المقدّس، الحبر الأعظم.

وقال تلميذه وصهره العلاّمة المحقّق التسترى في مقابس الأنوار: ١٩: الأُستاد السعيد، والشيخ الأعظم، الأعلم الأعصم ،قدوة الأنام، سيف الإسلام، علم الأعلام، علاّمة العلماء الكرام، خريت طريق

التحقيق والتدقيق، مالك أزمّة الفضل بالنظر الدقيق، مهذّب مسائل الدين الوثيق.

مقرّب مقاصد الشريعة من كلّ فجّ عميق. وحيد العصر، وفريد الدهر، ومدار الفصل والوصل، ومنار الفخر والفضل، خاتمة المجتهدين، وأسوة الأفاضل المعتمدين.

وحامي بيضة الدين، وماحي آثار المفسدين، بدر النجوم، بحر العلوم، المؤيّد المسدّد من الحيّ القيّوم، شيخي، واستاذي، ومعتمدي، واستنادي، وجدّ أولادي الموفّقين المحروسين، المهذبين بعين عناية اللّه الباري.

الهادي الأجل، الأكمل الأفضل، الأورع الأجمل، الألمعي اللوذعيّ، التقيّ النقي، الرضيّ المرضيّ، الزكيّ الذكيّ، الوفيّ الصفيّ، الخائض المغمور في عواطف بحار لطف اللّه الجلي والخفي، الشيخ جعفر بن المرحوم المبرور الشيخ خضر النجفي، أدام اللّه ضلاله على رؤوس العالمين، وزيّن به كراسي العلم للعالمين، وجزاه عنّي يوم الدين خير جزاء المحسنين والمعلّمين.

وهو صاحب كتاب كشف الغطاء، الذي هو باسط العطاء علىٰ اُولي الذكاء والصفاء والوفاء وعلىٰ غيرهم في غاية الغموض والخفاء والجفاء.

وصاحب الرسائل العديدة السديدة في الاصول والعبادات، محتوية مع ايجازها على غرائب التنبيهات والتفريعات وعجائب التحقيقات.

وقال المحقّق الخوانساري في الروضات ٢ : ٢٠٠ : أستاد الفقهاء

الأجلّة وشيخ مشايخ النجف والحلّة... كان ـ رحمة اللّه عليه ـ من أساتذة الفقه والكلام، وجهابذة المعرفة بالأحكام.

معروفاً بالنبالة والإحكام، منقّحاً لدروس شرائع الاسلام، مفرّعاً لرؤوس مسائل الحلال والحرام، مروّجاً للمذهب الحقّ الإثنى عشري كما هو حقّه، ومفرّجاً عن كلّ ما أشكل في الإدراك البشري، وبيده رتقه وفتقه.

مقدّماً عند الخاصّ والعامّ، معظّماً في عيون الأعاظم والحكّام، غيوراً في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقوراً عند هزاهز الدهر وهجوم امحاء الغير، مطاعاً للعرب والعجم في زمانه، مفوّقاً في الدنيا والدين على سائر أمثاله وأقرانه.

ولنعم ما أسفر نفسه عن وصف حاله وحسن مآله فيما يقول: كنت جعيفراً، ثمّ الشيخ جعفر، ثم شيخ العراق، ثمّ شيخ مشايخ المسلمين على الإطلاق هذا.

ومن صفاته المرضيّة أنّه رحمه اللّه كان شديد التواضع والخفض واللين. وفاقد التجبّر والجبر على المؤمنين، مع ما فيه من الصولة والوقار والهيبة والاقتدار.

فلم يكن يمتاز في ظاهر هيئته عن واحد الأعراب، ويرتعد من كمال هيبته فرائص أُولي الألباب.

كان أبيض الرأس واللحية في أزمنة مشيبه، كبير الجثّة، رفيع الهمّة، سمحاً شجاعاً، قويّاً في دينه، بصيراً في أمره.

وكان يرىٰ استيفاء حقوق اللّه من أموال الخلائق على سبيل الخرق والقهر، ويباشر أيضا صرف ذلك بمحض القبض إلىٰ مستحقّيه

الحاضرين من أهل الفاقة والفقر.

ونقل أنّه ـ رحمه اللّه ـ كان في مبادي أمره ذا عيلة شديدة في مسغبة ومسكنة ذات متربة، فرأى أن يوجر نفسه من بعضهم لاتمام ثلاثين سنة من العبادة، يستغني بأُجرتها عن مؤونات زمان التحصيل.

وقال المحدّث النوري في المستدرك ٣: ٣٩٧: علم الأعلام، وسيف الإسلام، خريت طريق التحقيق والتدقيق، مالك أزمّة الفضل بالنظر الدقيق، الشيخ الأعظم الأعلم الأعصم .....وهو من آيات اللّه العجيبة التي تقصر عن دركها العقول، وعن وصفها الألسن، فإن نظرت إلىٰ علمه، فكتابه كشف الغطاء الذي ألفّه في سفره ينبؤك عن أمر عظيم، ومقام عليّ في مراتب العلوم الدينيّة، أُصولاً وفروعاً، وكان الشيخ الأعظم الأنصاري رحمه اللّه يقول ما معناه: من أتقن القواعد الأُصولية التي أودعها الشيخ في كشفه فهو عندي مجتهد.

وحدّثني الشيخ الاستاد رحمه اللّه، قال: قلت لشيخي صاحب جواهر الكلام: لم أعرضت عن شرح كشف الغطاء؟ تؤدّ حقّ صاحبه، وهو شيخك وأستادك، وفي كتابه من المطالب العويصة والعبارات المشكلة مالا يحصىٰ، فقال: ياولدي أنا عجزان من اووات الشيخ، أي: لاٰ أقدر على استنباط مدارك الفروع المذكورة فيه، أو كذا أو كذا.

وان تأمّلت في مواظبته للسنن والاداب وعباداته ومناجاته في الأسحار، ومخاطبة نفسه بقوله: كنت جعيفراً، ثمّ صرت جعفراً، ثمّ الشيخ جعفر، ثمّ شيخ العراق، ثمّ رئيس الاسلام.

وبكائه وتذلّله، لرايته من الذين وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام من أصحابه للأحنف بن قيس، مع ما اشتهر من كثرة أكله، وان كان رحمه

اللّه ما كان يأكل إلاّ الجشب، ولا يلبس إلاّ الخشن، فلا تورثه الملل والكسل عمّا كان عليه من التضرّع والإنابة والسهر.

وان تفكّرت في بذله الجاه العظيم الذي أعطاه اللّه تعالى من بين أقرانه، والمهابة والمقبوليّة عند الناس على طبقاتهم من الملوك والتجار والسوقة للفقراء والضعفاء من المؤمنين، وحضّه على طعام المسكين، لرأيت شيئاً عجيباً، وقد نقل عنه في ذلك مقامات وحكايات لو جمعت لكانت رسالة طريفة نافعة.

وقال في الأعيان ٤: ١٠٠ نقلاً عن كتاب نظم اللئالي في أحوال الرجال للسيّد محمّد بن هاشم الهندي النجفي ـ كما في الذريعة ٢٤: ٢٢٥ ـ قال: شيخ الطائفة في زمانه، وحاله في الثقة والجلالة والعلم أشهر من أن يذكر.

وقال العلاّمة الرجالي ملا علي العلياري في بهجة الامال ٢: ٥٣٣: جلالة شأنه وغزارة علمه لا يحتاج الى البيان، لما هو محسوس بالعيان، والإنصاف أنّ من زمان الغيبة إلىٰ زماننا هذا لم يوجد أحد في الإحاطة تحت فلك القمر، كما قال أعلى اللّه مقامه ورفع في الخلد أعلامه: الفقه باق علىٰ بكارته لم يمسّه أحد إلاّ أنا والشهيد وابني موسى، وينبىء عن هذا قوله رحمه اللّه: انّي باحثت الشرائع ثلاث مائة مرّة. وقال أيضاً: لو محي كلّ كتب الفقه أكتب من أوّل الطهارة الى الديات، والشاهد على ذلك مصنّفاته وتآليفه المنيفة.

وقال الشيخ حرز الدين في كتاب معارف الرجال ١: ١٥٠ - ١٥١: الشيخ الاكبر، والفقيه المشهور، شيخ الطائفة في عصره عند الاماميّة، في الأقطار الاسلامية عامة، والعراق وايران خاصّة، العلم الذي استظلّ

به المسلمون في أمر الدين والدنيا والفتاوي، له المآثر الحميدة التي لا تحصىٰ، والأخلاق الفاضلة التي لا تليق إلاّ بمثله.

وكثيراً ما حدّثنا العلماء المعاصرون عنه الخصال الطيّبة مع أهل الفضل وطلبة العلوم الدينية عن مواقفه المشرفة في الدفاع عن أهل النجف والمجاورين من غارات أعراب البوادي مثل الغارات التي شنّها سعود الوهّابي. وكان قدس سّره من العلم والتقوى والصلاح والزهد والعبادة والورع بمكان عظيم ، وله مع ملوك عصره من المسلمين في العراق وايران مواقف مشهودة.

وكان قدّس سّره شديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي سفره الى ايران كانت له مواقف مشهورة في إنكار المنكرات ومنع بيع الخمور وعمله وكان عصره فيه العشرات من العلماء العظام، وله الرئاسة العامّة والتقليد.

وقال العلامة السيّد محسن الأمين في أعيان الشيعة ٤: ١٠٠: قد انتهت إليه رئاسة الإماميّة الدينيّة في عصره، والزمنيّة في قطره، فهو الفقيه الأكبر، مفتي الإماميّة، رجع اليه الناس وأخذوا عنه، ورأس بعد وفاة شيخه السيّد مهدي بحر العلوم الطباطبائي سنة(١٢١٢)واشتهر باعتدال السليقة في الفقه، وقوة الاستنباط من الأدلة، فكان أُعجوبة في الفقه،ولقوّة استنباطه اشتهر ـ من باب الملح ـ أنّ الشيخ جعفر عنده دليل زائد، وهو دليل الشمّ ،وكان مع ذلك أديباً شاعراً.

وقال المحقق آغا بزرك الطهراني في طبقات أعلام الشيعة١: ٢٤٨: زعيم الاماميّة الميمون، ومرجعها الأعلىٰ في عصره، ومن فطاحل فقهاء الشيعة.

والحقّ أنّه من الشخصيات العلميّة النادرة المثيل، وانّ القلم لقاصر عن وصفه وتحديد مكانته، وإن بلغ الغاية في التحليل وفي شهرته وسطوع فضله غنىً عن إطراء الواصفين، وقد ارتوى الكلّ من نمير فضله،واعترف الجميع بغزارة علمه وتقدّمه وتبحّره، ورسوخ قدمه في الفقه، ومآثره الجمّة، كفيلة بالتدليل على ذلك.

وأمّا الرئاسة، فقد بلغ المترجم ذروتها، فقد كان مطاعاً معظماً محبوباً مقدراً، إمتدّ نفوذه، وسمت مكانته، فأفاض العلم ونشر الدعوة الإسلاميّة، وأقام معالم الدين، وشاد دعائمه، وكان اُمراء آل عثمان يرمقونه بعين التعظيم والاكبار، وبذلك كانت له الموفّقيّة بالحصول علىٰ غايات شريفة قلّ من ضاهاه فيها.

وقال في ماضي النجف وحاضرها ٣: ١٣٨: وقفت علىٰ عدّة رسائل من الشيخ محمّد بن راضي بن شويهي يخاطب بها الشيخ رحمه اللّه بكلّ تبجيل واحترام، منها تعرف مكانة الرجل وأهميّته في المجتمع، منها ما يقول فيها: أيّها المرجع للخلق، والمتكلّم بالحقّ، والناطق بالصدق، والمحيي علوم المرسلين، والمقتفي آثار الأئمة الطاهرين.

ومنها: الحمد للّه الذي أقام الدين بسيوفكم، وقمع شوكة العصاة بكفوفكم، فأعلى اللّه مقامكم، وأجزل في الخلد اكرامكم. الى آخرها.

ومنها التي يقول فيها: حرسك اللّه قطب العلماء، وسنام الفضلاء، ووجه الشيعة، ومحيي الشريعة، ومصباح الأمة، والمنصوب من قبل الأئمة، وبهجة الزمان، وقمر الأقران، وصدر المحقّقين، وقوام المتبحّرين، ومرجع الفقراء، وملاذ الضعفاء، ووالد المشتغلين، وأخي الفقراء والمساكين. الى آخرها.

وقال شارح ديوان السيّد جعفر الحلّي في حقّه: يقصر أبرع كاتب، وأبلغ يراع، عن تصوير سعة علمه وقوة غريزته وبلاغة يراعه، وخلاّقيّته للأدلّة والبراهين، التي تنبع فوراناً من ينبوع قلبه، فتراه مترسّلاً في مؤلّفاته لدىٰ أغمض المباحث، وأعضل المسائل، كخطيب مصقّع لا يتتعتع، ولاٰ يتلعثم في شوط فذّ ونفس واحد.

وقال حفيده الشيخ علي في الحصون المنيعة: كان فقيه زمانه وآية عصره وأوانه، علاّمة فهّامة، تقيّاًنقيّاً، عدلاً ثقة، صالحاً عابداً، زاهداً ورعاً جمّ المناقب. إلىٰ آخر ما قال.

إلىٰ غير ذلك ممّا لاٰ يحصىٰ من عبارات المدح والثناء التي صدرت في حقّه من مترجميه، ومن كبار العلماء الذين ذكروه وأطروه في اجازاتهم المفصلة، ومعاجمهم الرجاليّة. ولوجمع ما قيل فيه من مدح وهناء، لكان ديواناًضخماً.

مشايخه العظام:

تتلمّذ علىٰ عدّة من أساطين عصره، وروىٰ عن جماعة منهم، وهم:

١- والده المقدّس الورع الشيخ خضر الجناجي.

٢- الفقيه المجدّد الآقا محمّد باقر البهبهاني درس عنده في أرض الحائر الطاهر، وله الرواية عنه أيضاً.

٣- الفقيه العلاّمة الشيخ محمّد مهدي الفتوني، وكان غالب تلمّذه عليه.

٤- السيّد صادق الفحّام.

٥- العلاّمة الورع السيّد مهدي الطباطبائي بحر العلوم، وحضر مجلس افادته بعد أن رحل من كربلاء الى النجف، وكان الشيخ جعفر

مكتفياً عن الحضور لمّا حضر بحث السيّد، لكن ترجّح عنده الحضور لأمور سامية جليلة، وكان مجازاً عنه.

٦- الشيخ محمّد تقي الدورقي.

تلامذته ومن يروى عنه:

تخرج من مدرسته كثير من الفقهاء المشاهير والعلماء الأجلاّء، وإليك نبذة منهم:

١- ولده المحقّق الشيخ موسى النجفي.

٢- ولده الاخر العلاّمة الشيخ علي النجفي.

٣- ولده الاخر أيضاً الشيخ حسن النجفي.

٤- ولده الاخر أيضاً الشيخ محمّد النجفي.

٥- صهره العلامة الشيخ أسد اللّه الدزفولي الكاظمي، صاحب مقابس الانوار، المتوفّى سنة (١٢٣٤).

٦- صهره الثاني الشيخ محمّد علي الهزار جريبي، المتوفّى سنة (١٢٤٥).

٧- صهره الثالث الشيخ محمّد تقي الاصفهاني، صاحب الحاشية، المتوفى سنة (١٢٤٨).

٨- صهره الرابع السيّد صدر الدين العاملي، المتوفّى سنة(١٢٦٣).

٩- الشيخ محسن الأعسم، صاحب كشف الظلام، المتوفّى سنة (١٢٣٨).

١٠- الشيخ خضر بن شلال العفكاوي، المتوفّى سنة (١٢٥٥).

١١- السيّد محمّد بن الأمير معصوم الرضوي، صاحب أعلام الورىٰ، المتوفّى سنة(١٢٥٥).

١٢- السيّد محسن الأعرجي الكاظمي صاحب المحصول، المتوفى سنة (١٢٢٧).

١٣- السيّد محمّد باقر الاصفهاني الشفتي، صاحب مطالع الأنوار، المتوفّى سنة (١٢٦٠).

١٤- الشيخ محمّد ابراهيم الكلباسي، صاحب الاشارات، المتوفّى سنة (١٢٦١)

١٥- الشيخ محمّد ابن أخيه الشيخ محسن آل راضي.

١٦- السيّد جواد العاملي، صاحب مفتاح الكرامة، المتوفّى سنة (١٢٢٦).

١٧- الشيخ محمّد حسن النجفي، صاحب جواهر الكلام.

١٨- الشيخ أحمد الاحسائي، المتوفّى سنة (١٢٤١).

١٩- الشيخ عبد علي بن أميد علي الجيلاني النجفي، صاحب منهاج الكلام في شرح شرائع الإسلام.

٢٠- السيّد عبد اللّه شبّر الكاظمي، المتوفّى سنة (١٢٤٢).

٢١- الشيخ قاسم محيي الدين العاملي النجفي.

٢٢- الملاّ زين العابدين السلماسي.

٢٣- الشيخ عبد الحسين الأعسم.

٢٤- السيّد باقر القزويني.

٢٥- الشيخ حسين نجف.

٢٦- الشيخ ابراهيم البلاغي العاملي.

٢٧- الشيخ عبد علي الرشتي.

٢٨- الاغا جمال.

٢٩- السيّد حسن القزويني. وغيرهم المآت من الفحول والدعائم والعمد والأركان، أعلى اللّه درجاتهم جميعاً، وجزاهم عن شريعة نبيّهم خير الجزاء.

تآليفه القيّمة:

للمترجم قدّس سرّه تآليف ممتّعة وقيّمة، مشحونة بالتحقيقات والتدقيقات اللطيفة، وهي:

١- كشف الغطاء عن خفيّات مبهمات الشريعة الغرّاء. قال في الروضات: قد خرج منه أبواب الأُصولين، ومن الفقه ما تعلّق بالعبادات إلىٰ أواخر أبواب الجهاد، ولم يكتب أحد مثله ،ثمّ ألحق به كتاب الوقف وتوابعه، ينيف ما خرج منه على أربعين ألف بيت، إلاّ أنّه فائق على كلّ من تقدّمه من كتب الفنّ، مع أنّه إنّما صنّفه في بعض الأسفار، وهو في بيت السرير، ولم يكن عنده من كتب الفقه غير قواعد العلاّمة، كما نقله الثقات. انتهىٰ.

٢- مختصر كتابه كشف الغطاء.

٣- القواعد الجعفريّة في شرح بعض أبواب المكاسب من قواعد العلاّمة. قال في الروضات: وهو كتاب كبير مشتمل على قواعد فقهيّة وفقاهة اعجازيّة، لم ير مثلها عين الزمان انتهىٰ. وصل فيه الى بيع الصرف

٤- كتاب الطهارة، قال في الروضات: وهو كتاب كبير في الطهارة كتبه في مبادىء أمره لجمع عبائر الأصحاب، والأحاديث الواردة في ذلك الباب. وقال في الأعيان: من أوّل الطهارة الى خشبة الأقطع. وهو شرح الشرائع.

٥- بغية الطالب في معرفة المفروض والواجب، وهي رسالة عمليّة

في الطهارة والصلاة، شرحها ولده الشيخ موسى.

٦- رسالة مناسك الحجّ.

٧- العقائد الجعفريّة في اُصول الدين.

٨- غاية المأمول في علم الأُصول.

٩- شرح الهداية للعلاّمة الطباطبائي، خرج منه كتاب الطهارة فقط.

١٠- الحقّ المبين في تصويب المجتهدين وتخطئة الأخباريين.

١١- كشف الغطاء عن معائب ميرزا محمّد عدّو العلماء، وهي رسالة لطيفة في الطعن على الميرزا محمّد بن عبد النبيّ النيسابوري الشهير بالأخباري، أرسلها الى فتح علي شاه، أبان فيها قبائح أفعال ذلك الرجل واعتقاداته الكفريّة. وفي المعارف والكرام: كاشف الغطاء.

١٢- منهج الرشاد لمن أراد السداد، سيأتي الكلام حوله.

١٣- اثبات الفرقة الناجية.

١٤- أحكام الأموات.

١٥- مشكاة المصابيح في شرح المصابيح الذي هو منثور الدرّة. وصل فيه الى الوضوء.

١٦- رسالة في الصوم.

١٧- رسالة في الدماء الثلاثة.

١٨- رسالة التحقيق والتنقير في المقادير.

١٩- شرح القواعد. وصل فيه الى قول الماتن «وتطهّر الأرض باطن القدم وأسفل النعل» وذكر هنا قولاً لوالده ذكره في محل الدرس. الى غير ذلك من الكتب والرسائل وأجوبة المسائل والاجازات المفصّلة.

نبذة من أحواله وسيرته:

منها: ما ذكره في المستدرك، قال: ومن طريف ما سمعناه ونتبرّك به في هذه الأوراق ما حدّثني به الثقة العدل الصفيّ السيّد مرتضى النجفي، وكان ممّن أدركه في أوائل عمره. قال: أبطأ الشيخ في بعض الأيّام عن صلاة الظهر، وكان الناس مجتمعين في المسجد ينتظرونه، فلمّا استيئسوا منه قاموا الى صلاتهم فرادىٰ، وإذا بالشيخ قد دخل المسجد، فرآهم يصلّون فرادىٰ، فجعل يوبّخهم وينكر عليهم ويقول: أما فيكم من تثقون به وتصلّون خلفه، ووقع نظره من بينهم إلىٰ رجل تاجر صالح معروف عنده بالوثاقة والديانة، يصلّي في جنب سارية من سواري المسجد، فقام الشيخ خلفه واقتدىٰ به.

ولمّا رأوا الناس ذلك اصطفوا خلفه، وانعقد الصفوف وراءه، فلمّا أحسّ التاجر بذلك اضطرب واستحيا، ولاٰ يقدر على قطع الصلاة، ولاٰ يتمكّن من إتمامها، كيف؟ وقد قامت صفوف خلفه تغتبط منها الفحول من العلماء، فضلاً عن العوام، ولم يكن له عهد بالإمامة، سيّما التقدّم على مثل هذه المأمومين، ولمّا لم يكن له بدّ من الإتمام أتمّها والعرق يسيل من جوانبه حياءً.

ولمّا سلّم قام فأخذ الشيخ بعضده وأجلسه، قال ياشيخ قتلتني بهذا الإقتداء مالي ولمقام الإمامة، فقال الشيخ: لابدّ لك من أن تصلّي بنا العصر، فجعل يتضرّع ويقول: تريد أن تقتلني لاٰ قوّة لي على ذلك، وأمثال ذلك من الكلام، فقال الشيخ: إمّا أن تصلّي أو تعطيني مائتي شاميّ أو أزيد، والترديد منّي، فقال: بل أعطيك ولا أُصلّي، فقال الشيخ: لابدّ من إحضارها قبل الصلاة، فبعث من أحضرها ففرّقها على

الفقراء، ثمّ قام الى المحراب وصلّى بهم العصر. وكم له ـ رحمه اللّه ـ من أمثال هذه القضيّة، جزاه اللّه تعالى عن الإسلام والمسلمين خير جزاء المحسنين.

وقال في بهجة الامال ٢: ٥٣٨: وكان من دأب الشيخ ـ رحمه اللّه ـ أنّه كلمّا صلّىٰ يأخذ ذيله ويدور بين الصفوف ويجمع دراهم ودنانير، ويعطي للفقراء والمساكين

وإذا مشىٰ إلىٰ مجالس الظلاّم والتجّار بعنوان الضيافة يلاحظ الأطعمة والأشربة ، ولم يأكل منهما ولم يشرب ، ولم يأذن لأحد بالأكل، حتّى يقوّم كلّما في الخوان، فيبيع كلّها بصاحب المجلس، ويأخذ ثمنها، ثمّ يأمر بالأكل، فيعطي الأثمان للمستحقين.

وحكي أنّ يوماً ورد لشخص، فأحضر هذا الشخص الطعام، فأمر الشيخ للمقوّمين فقوّموا ما حضر بثلاثين دينار، فأخذ القيمة إلاّ ديناراً ولم يكن حاضراً، فما أكل الشيخ ومن معه في المجلس، وقال صاحب المنزل: كلوا وبعد صرف الغذاء أعطي الدينار الباقي، فقال الشيخ: لا حتّىٰ تعطيه، فأخذه ثمّ أمر بالأكل، فبذل الشيخ الثلاثين للمحتاجين.

ونقل أيضاً: أنّه ـ رحمه اللّه ـ ربّما ورد ببيت يعجبه ذلك البيت، فيذكر أوصافه ومدايحه، ويقول ربّ البيت: مبذول لجنابك، فيقول: قبلت بشرط أن تعطي قيمته، فيأخذ القيمة فينفقها لذي متربة.

ونقل أيضاً: أنّ الشيخ ورد اصفهان، فأقام فيها أيّاماً، ثمّ أراد أن يخرج منها فركب، فحينئذ حضر سيّد فأخذ لجام فرس الشيخ، وقال: أنا سيّد فقير محتاج إلىٰ مائة دينار، ولا اُخليك إلىٰ أن تعطيها. كان أمين الدولة في تلك الأيّام حاكماً في اصفهان، فقال الشيخ للسيّد: اذهب إلىٰ

أمين الدولة وقل: الشيخ يأمرك أن تعطيني مائة دينار، فقال السيّد: أخاف أن لا يعطيني، قال الشيخ: أنا واقف هنا حتّى يعطيك، فذهب السيّد وبلغه، وقال أمين الدولة: أين الشيخ ؟ فقالوا: راكب للترحّل، فقال للملازمين: هاتوا مائة دينار ، فاحضروا كيسا وأرادوا عدّها،فقال: أُعطوا الكيس له أخاف أن يطول ويصير زحمة للشيخ، فأخذ السيّد الكيس ورجع الى الشيخ، فأمر الشيخ بعدّه، فوجدوا فيه مائتي دينار، فأعطىٰ للسيّد مائة دينار، وأنفق الباقي للفقراء.

وكان من دأبه يأمر بتهيأة الطعام ليجتمع أولاده في أكله، ثمّ يباحثون بعده ساعتين في علم الفقه.

وكان أيضاً ـرحمه اللّه ـ يوقظ كلّ ليلة أولاده صغيرهم وكبيرهم وأُناثهم وذكورهم كذا في المصدر، والظاهر من غير أولاده للتهجّد واتيان صلاة الليل انتهى.

رحلاته وأسفاره وزياراته:

حجّ بيت اللّه الحرام مرّتين: الأُولى سنة (١١٨٦)قال في ماضي النجف وحاضرها: وقد مدحه معاصره وأُستاذه العلاّمة السيّد صادق الفحّام بقصيدة، وأرّخ عام حجّه، فقال من مطلعها:

للّه درّك من عميد لم تزل بالصالحات متيّماً معموداً
حقّ الركاب يؤمّ بيتاً لم يزل للناس من دون البيوت قصيداً

الى أن قال مؤرّخاً:

وبذلت أقصى الجدّ في تاريخه نلت المنى وجئت حميداً

والثانية: سنة (١١٩٩) ومعه الأعلام من السادة كالسيّد محسن الأعرجي صاحب المحصول، والسيّد جواد صاحب مفتاح الكرامة،

والشيخ محمّد علي الأعسم، فقد مدحه الشعراء بحجّه هذا، راجع الى كتاب ماضي النجف وحاضرها ٣: ١٣٤ - ١٣٥.

وسافر المترجم الى اكثر مدن ايران، كزنجان، وكيلان، وقزوين، ولاهيجان، وطهران، واصفهان، وله في كلّ واحدة من هذه المدن قضايا عجيبة، مذكورة في قصص العلماء للميرزا محمّد التنكابني ص ١٨٩ - ١٩٧.

وله قضية في مدينة أردستان ذكره في رسالته في الردّ على ميرزا محمّد الأخباري، وأيضاً سافر الى مدينة كاشان، كما في الرسالة المذكورة.

وغيرها من مدن إيران. وأقام في بعضها عدّة أيّام وشهور، كما ذكره أرباب التراجم والمعاجم الرجاليّة، فراجع.

أسرته العلميّة:

كان يعيش المترجم في أُسرة علميّة، وزعامة دينيّة، ومكانة اجتماعيّة، وقد توارث أولاده وأحفاده الزعامة كابراً عن كابر، وقضوا دوراً مهمّاً في خدمة الدين الإسلامي، ولهم خدمات سجلها لهم التأريخ بمداد الفخر،وازدهرت بها أرجاء النجف خاصّة، وأكناف العراق عامّة، وكلّما خبا منهم نجم نجم آخر، ولم ينقطع العلم منهم إلى التأريخ .

أمّا والده العلاّمة الورع الشيخ خضر، فكان من العلماء العاملين، قال المترجم في رسالته الردّ على الميرزا محمّد الاخباري في حقّ والده: خرج الوالد من قرية جناجيّة إلى النجف ، واشتغل بتحصيل العلم، وعرف بالصلاح والتقوىٰ والفضيلة، وكان الفضلاء والصلحاء

يتزاحمون على الصلاة خلفه.

والسيّد السند الواحد الأوحد، واحد عصره، وفريد دهره، العابد الزاهد، والراكع الساجد، العالم العامل، والفاضل الكامل، المرحوم المبرور، مولانا السيّد هاشم ـ رحمه اللّه تعالىٰ ـ قال في حقّه: من أراد أن ينظر إلىٰ وجه من وجوه الجنّة، فلينظر إلىٰ وجه الشيخ خضر. ولمّا حضرت السيّد الوفاة أوصىٰ أن يقف علىٰ غسله، وكانت الكرامات تنسب إليه، وجميع العلماء مطّلعون على حاله، ونسب اليه ملاقاة صاحب الأمر روحي له الفداء أو الخضر أو هما معاً، وأنّه فتحت له باب سيّد الشهداء عليه السلام وسائر الأئمّة عليهم السلام.انتهىٰ.

وقال في المستدرك: كان الشيخ خضر من الفقهاء المتبتّلين، والزهّاد المعروفين، وعلماء عصره كانوا يزدحمون على الصلاة خلفه.

قال ولده الشيخ الأكبر في كشف الغطاء في بحث التشهّد: وأن يضيف بعد الصلاة على النبيّ صلّى اللّه عليه وآله في التشهّد الأوسط قول «وتقبّل شفاعته في اُمّته وارفع درجته» والأقوىٰ استحبابه في التشهّد الأخير بقصد الخصوصيّة، لما يظهر من بعض الأخبار من تساوي التشهدين، وافتاء بعض العلماء، وحديث المعراج، وقد رأيت النبّي صلّى اللّه عليه وآله في عالم الرؤيا، فأمرني أن اُضيف إليها قول «وقرّب وسيلته» وكان الوالد ـ رحمه اللّه ـ محافظاً علىٰ ذلك في التشهّد الأوسط، ولم أزل آتي بها سرّاً لئلاّ يتوهّم ورودها قاصداً أنّها من أحسن الدعاء انتهى.

وفي دلالته على عظم شأنه مالا يخفىٰ، وتوفي قدّس سرّه في رجب سنة(١١٨٠) تقريباً.ودفن في الأيوان قرب قبر العلاّمة الحلّي قدّس سرّه.

وللشيخ خضر أربعة أولاد، ولكلّ واحد منهم أعقاب كثيرة منتشرة، وهم:

الاوّل: الشيخ حسين، وهو جدّ آل الخضري، وعدّه في المستدرك من المجتهدين المعروفين في عصره.

والثاني: الشيخ محمّد، وهو جدّ آل العلوي،

والثالث: الشيخ جعفر صاحب العنوان.

والرابع: الشيخ محسن، وهو جدّ آل شيخ راضي.ولكلّ واحد منهم ترجمة مبسوطة في كتب التراجم، ليس هنا مجال لذكرها.

وللمترجم قدّس سرّه أربعة أولاد وأربعة أصهار:

أمّا أولاده الأجلّة الكرام مشايخ الاسلام والفقهاء الأعلام، وهم:

الأوّل: الفقيه الاكبر الافخر الشيخ موسىٰ، وكان خلاّقاً للفقه،بصيراً بقوانينه، لم يبصر بنظيره الأيّام، وكان أبوه يقدّمه في الفقه على من عدا المحقّق والشهيد المرحومين، وله شرح رسالة أبيه من أوّل الطهارة الى آخر الصلاة في مجلّدين، وتوفّي في سنة (١٢٤٣)هـ.ق.

الثاني: الفقيه الورع الشيخ محمّد، توفّي في سنة(١٢٤٧) هـ.ق.

الثالث: الفقيه المسلّم المحقّق العلاّمة الشيخ علي صاحب كتاب الخيارات المبسوط الكبير وبعض مسائل البيوع وغيرهما، وتوفّي في سنة(١٢٥٤) هـ.ق.

الرابع: الفقيه المتتبّع العلاّمة الشيخ حسن، وتوفّي في سنة(١٢٦٢) هـ.ق. ولكلّ واحد منهم أعقاب وتآليف ممتّعة مذكورة في كتب التراجم والمعاجم الرجالية، والخوض في ذلك يحتاج الى تأليف رسالة مستقّلة في ذلك.

وأمّا أصهاره، فكانوا من العلماء العاملين، والمبرزين في الفقه والأُصول والتحقيق، وقد أحرزوا الزعامة الدينيّة، والمقام المعنويّ، وهم:

الأوّل: المحقق المدقق العميق الشيخ أسد اللّه الدزفولي صاحب كتاب كشف القناع والمقابس وغيرهما، وتوفّي في سنة(١٢٣٤) هـ.ق.

الثاني الفقيه الأُصولي الورع الزاهد الشيخ محمّد تقي الاصفهاني صاحب الحاشية المعروفة بهداية المسترشدين ، وتوفّي في سنة(١٢٤٨) هـ.ق.

الثالث: الفقيه الورع النقّاد السيّد صدر الدين العاملي، صاحب التآليف الرجاليّة والفقهيّة، وتوفّي في سنة(١٢٦٣) هـ.ق.

الرابع: الفقيه المتبحّر الاغا محمّد علي الهزارجريبي، وتوفّي سنة(١٢٤٥) هـ.ق.

ولهؤلاء المشايخ العظام والفقهاء الكرام تراجم مبسوطة، لا يسعني في هذه العجالة الخوض في ذلك، وقد ألف بعض الاعلام رسالة مستقلّة في حياة أُسرة الشيخ الكبير، كالحصون المنيعة، والعبقات العنبويّة في الطبقات الجعفرية وغيرهما.

مكانته الإجتماعيّة:

كان المترجم ـ قدّس سرّه ـ من العلم والتقوىٰ والصلاح والزهد والعبادة والورع بمكان عظيم، وله مع ملوك عصره من المسلمين في العراق وايران مواقف مشهودة، وأنا أذكر نبذة من مكانته الاجتماعيّة ومواقفه المشهودة التي ذكرها أرباب التراجم والمعاجم الرجالية.

قال في الطبقات: وقضيّة واحدة تعطينا صورة واضحة عن تركّز

المترجم، ومدى التقدير الذي حصل عليه، قال في روضة الصفاج ١:
١٢٢١ عند ذكر أحوال السلطان فتح علي شاه القاجاري ما ترجمته: ولي السلطان ولده الأكبر محمّد علي ميرزا تمام محالّ كردستان من كرمانشاه إلىٰ خانقين، ومن خرّم آباد إلىٰ حدود البصرة، وذلك حين تعدّى علي باشا والي بغداد على ايران،وجند ثلاثين ألفاً بقيادة ابن أخيه سليمان باشا كهيا الكرجى الرومي، فتجاوزوا من خانقين إلىٰ شهرزور، ومنها إلىٰ بحيرة مريوان، فتلاقوا هناك، واشتعلت نيران الحرب بينهما، حتّى انكسر عسكر الروم وانهزم إلىٰ حدود الموصل وبغداد عن ثلاثة آلاف قتيل، وأكثر منهم أسيراً، وفيهم القائد كهيا المذكور.
فالتجأ علي باشا والي بغداد الى شيخ الجعفريّة الشيخ جعفر النجفي، فقبل الشيخ التماسه، وذهب إلىٰ محمّد علي ميرزا شفيعاً للأُسراء، فقبل شفاعته ما عدا كهيا، فأطلقهم جميعاً، وبعث كهيا مقيّداً إلى السلطان فتح علي شاه، فأمر بحفظه وفكّ قيده، إلى أن تهيأ الشيخ للسفر إلىٰ طهران، فوصل إلى السلطان مكرماً مقبول الشفاعة، فأخذه معه ورجع إلىٰ بغداد.

وكان تشفّع في كهيا يوسف باشا والي أرزنة الروم، وبعث معتمده الفيضي محمود أفندي مع عريضة إلىٰ عبّاس ميرزا، فلم يقبل شفاعته، وانّما قبل شفاعة الشيخ تكريماً له انتهى.

وأشار إلىٰ هذه القضيّة في معارف الرجال، قال: وقد تشفّع في أُسراء الترك عند السلطان فتح على شاه، حينما وقعت الحرب بينه وبين العثمانيين في العراق، فشفعه فيهم وأطلق سراحهم، وصار ملوك آل عثمان وولاتهم ينظرون إليه نظر الاكبار والعظمة والخشية من قولته إذا

قالها فيهم، وشفاعته بالقائد التركي سليمان باشا كهيا الكرجي عند السلطان المذكور أمر عظيم جدّاً، وما ذاك إلاّ لجلالة الشيخ الاكبر، ورفعة شأنه ومنزلته عند السلطان.انتهى.

ومنها: دفع المترجم عن النجف كثيراً من الحوادث المهمّة والوقائع الدامية، وهي حوادث عديدة :منها :حادثة ابن سعود الوهّابي الذي غار على النجف وحاصرها، فحاربه المترجم مع الأهالي طيلة أربعة أيّام ردّه منكوصاً لم يتمكّن من فتحها، وكان المسؤول الأوّل عن حفظ النجف والدفاع عنها، وسيأتي تفصيل الواقعة والحادثة الموجعة.

ومنها: حادثة الشمرت والذكرت المشهورة التي أخذت دوراً مهمّاً، وهي أعظم وأشهر حادثة يحتفظ بها تأريخ النجف، وقد ذكر العلاّمة الشيخ جعفر آل محبوبة في كتابه القيم ماضي النجف وحاضرها ١: ٣٣٠-٣٣٩ تفصيل الواقعة، والعلاّمة الأمين في أعيان الشيعة ٤: ١٠٢.

والحاصل أنّه حدث انشقاق هذين الفرقتين في عصره، وقد أتلف إنشقاقهما كثيراً من نفوس الأبرياء والفقراء، وأزهقت أرواح، ونهبت أموال، ولم تكن النجف يومذاك يطيب بها مسكن، ولا يألفها ساكن، فالمترجم قدّس سرّه بحزمه وعزمه وشدّة صولته ونفوذ أمره كان يذبّ عن الضعفاء، ويحرس الفقراء، فكان لهم حرزاً منيعاً، وسوراً رفيعاً، وبقيت عداوة الشمرت موروثة في أبنائهم، إلىٰ أن انكسرت شوكتهم، وخمدت نارهم، وعفت ديارهم.

قال في الطبقات: وهاتان الواقعتان ـ واقعة هجمة ابن سعود الوهّابي، وواقعة الشمرت والذكرت - من أهّم الحوادث التي دافع المترجم

فيهما مع زمرة من أهل العلم الذين مرّهم على حمل السلاح والرمي، وقد كانت داره الكبيرة الشهيرة الموجودة إلى اليوم مذخراً للأسلحة،وثكنة للجنود الذين قرّر لهم الرواتب، ودربهم على القتال، وتفصيل هذه الحوادث مدوّن لا يحتاج إلى البيان.

وهكذا فقد كان المترجم أبا النجف البارّ، وقائدها الروحي، يرجع اليه في الملمّات والحوادث، ويستغاث به عند النوازل، فرعى اللّه ذلك العهد الزاهر، ورحم أُولئك العلماء العاملين، وأمطر أجداثهم شآبيب الرحمة والرضوان.انتهى.

ومن قضاياه الدالة على مكانته الاجتماعيّة ما ذكره في ماضي النجف وحاضرها قال: إنّ حكومة الترك جعلت في عصره ضريبة على أهالي النجف أربعين طغاراً ثمانين طنّاً من الطعام، وهذا المبلغ في ذلك اليوم كثير، لم تطق النجف حمله، وعجزوا عن أدائه، فقام الشيخ بتسليمه، فمدحه الشيخ محمّد علي الأعسم بقصيدة، وأرّخ ذلك العام، فقال:

همم لأبي موسى جعفر ... ليست مقدورة لبشر
حمل عجزت عنه ناس ... من عشر آلاف أكثر
ويقوم الواحد فيه وهم ... أمروا بالحمل ولم يؤمر

شعره وأدبه:

كان الشيخ ـرحمه اللّهـ مع ما هو عليه من الكمالات المعنويّة والصفات الإنسانية له قوّة الشعر والنظم، تذكر له أبيات رائعة ومقاطيع فائقة، وله أيضاً مطارحات مشهورة مع أُدباء عصره وعلمائه، وجلّ أشعاره في مدح السيد الأجلّ بحر العلوم ورثائه.

وذكر في الأعيان وماضي النجف وحاضرها نبذة من أشعاره،فمنها

يمدح السيّد بحر العلوم قدّس سرّه:

لساني عن احصاء فضلك قاصر
وفكري عن ادراك كنهك حاسر

جمعت من الأخلاق كلّ فضيلة
فلا فضل إلاّ عن جنابك صادر

يكلّفني صحبي نشيد مديحكم
لزعمهم أنّي علىٰ ذاك قادر

فقلت لهم هيهات لست بقائل
لشمس الضحى يا شمس ضوؤك ظاهر

وما كنت للبدر المنير بناعت
له أبداً بالنور والليل عاكر

ولا للسما بشراك أنت رفيعة
ولا للنجوم الزهر هنّ زواهر

وله فيه أيضاً:

إليك إذا وجهّت مدحي وجدته معيباً وإن كان السليم عن العيب
إذ المدح لايحلو إذا كان صادقاً ومدحك حاشاه من الكذب والريب

وقال مؤرّخاً شفاءه السيّد المذكور من مرض ألّم به:

الحمد للّه على عافية كافية لخلقه شافيتك
قد ذاب قلب الوجد في تاريخها شفاء داء الناس في عافيتك

وله أيضاً يرثي بقصيدته السيّد بحر العلوم قدّس سرّه:

إنّ قلبي لا يستطيع اصطباراً
وقراري أبى الغداة القرارا

غشـى النـاس حـادث فـترى النا
س سكـــارىٰ ومـا هـم بسكـارىٰ
وكســا رونــق النهـــار ظلامــاً
بــعد مــا كــانت الليـالي نهـارا
ثــلم الديــن ثـلمة مـالها سـدّ
وأولى العـــلوم جـــرحـاً جبـارا
لمصـاب العـلاّمة العـلم المـهدي
مــن بــحر عــلمه لا يجــارىٰ
خــلف الأنبيــاء زبــدة كـل الأ
صفيــاء الذي سمــا أن يبــارىٰ
واحد الدهر صاحب العصر ماضي الأ
مـر فـي كـنه ذاتـه الفكـر حـارىٰ
كـيف يسـلوه خـاطري وبـه قـمـ
ت مقـــامي وفــيه ذكـرى طـارا
كـيف يـنفك مـدحه عـن لسـاني
وهـــو لولاه فـــي فـــمي مـادارا

وهي طويلة راجع أعيان الشيعة ٤ : ١٠٤ -١٠٥.

وله في رثاء الشيخ أحمد النحوي ومدح إبنه:

مات الكمال بموت أحمد واغتدىٰ حيّا بأبلج من بنيه زاهر
فأعجب لميّت كيف يحيا ظاهراً بين الورىٰ من قبل يوم الاخر

وله من أبيات أرسلها الى الشيخ محمّد رضا النحوي:

يكلّفني صحبي القريض وانّما تجنّبت عنه لا لعجز بدا منّي

ألم يعلموا أنّ الكمال بأسره غدا داخلاً في حوزتي صادراً عنّي
ألم تر مولانا الرضا نجل أحمد اذا قال شعراً لم يحكم سوى ذهني

الى آخر أبياته.

تصلّبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

كان المترجم ـ قدّس سرّه ـ متصلّباً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال في المعارف: وفي سفره الى ايران كانت له مواقف مشهورة في انكار المنكرات ومنع بيع الخمور وعمله، وقصّته في شيراز مع أرباب المعامل التي تصنع الخمور غنت بها الركبان، حيث أنّه لا تأخذه في اللّه لومة لائم انتهىٰ.

ومن انكاره المنكر وارشاداته الثمينة رسالته إلىٰ أهل خوي في ايران، لمّا توسعت دعوة الصوفيّة فيهم، وكان فيه توبيخ وتهديد وتحذير واستعطاف.

وهذه الرسالة أوردها العلاّمة آقا محمّد على البهبهاني ابن العلاّمة الوحيد البهبهاني المتوفّى في حياة المترجم سنة(١٢١٦) في كتابه القيّم خيراتيّة في ابطال طريقة الصوفية [١: ١١٩ - ١٢١] المطبوع أخيراً بتحقيقنا. قال: بسم اللّه والحمد للّه، والصلاة على محمّد وآله، من المعترف بذنبه، المقصّر في طاعة ربّه أقلّ الأنام، كثير الذنوب والآثام، الأقلّ الأحقر عبد اللّه جعفر، إلى الإخوان الكرام والأخلاء العظام، أعاظم أهل خوي وأعيانها وأساطينها وأركانها.

أمّا بعد: فقد صحّ الكلام المأثور والمثل المشهور، أنّه ما يثنّىٰ إلاّ وقد يثلّث، فقد حصل ثالث الأديان في بلادكم، المذهب الوهّابي

وبيكجان، فهنيئاً لكم على هذا الدين الجديد، والمذهب السديد، وظهور هؤلاء الأنبياء الذين يخاطبون بصفات جبّار السماء، بل كانوا عين اللّه، وكان اللّه عينهم، ولا فرق بينه وبينهم.

فدقّوا الطبول، وغنّوا بالمزامير، وأظهروا العشق اللطيف الخبير، وأكثروا النظر إلى الأمرد الحسان، فانّه يتّحد بهم الرحيم الرحمٰن، ودعوا الصلاة والصيام، وجميع العبادات بالتمام، فانّكم نلتم درجة الوصول إلى الملك العلاّم، بل أنتم عين المعبود، فلمن تعبدون؟ وأنتم مع اللّه متّحدون، فلمن تسجدون؟ إنّما يعبد من لم يبلغ الوصول إلى تلك الرتب، كمحمّد صلّى اللّه عليه وآله سيّد العرب، أمّا من لم يكن في جبّته غير اللّه، فليس عليه صيام ولا صلاة.

فالحمد للّه الذي أعطاكم أنبياء متعدّدين، وأبان غلطنا في أن محمّداً صلّى اللّه عليه وآله خاتم النبيّين، والشكر للّه الذي بعث إليكم رسلاً لا يعرفون أصلا ولا فرعاً، فلو سألت أكبرهم عن أفعال الشكّ لتحيّر، أو عن أحكام السهو لما تدبّر، أو عن بعض الفروع الفقهيّة لوجدتموه جاهلاً بالكلّية.

وعلىٰ كلّ حال فلكم الهنأ، وقد بلغتم من معرفة الدين كلّ المنىٰ، ونحن لنا عليكم حقّ يجب عليكم فيه الأداء، ولا يتّم ذلك إلاّ بارسال هؤلاء الأنبياء ليعلمونا كما علّموكم، ويفهّمونا كما فهّموكم، لنصل إلىٰ بعض ما وصلتم إليه، ونقف على بعض ما وقفتم عليه، حلواء تنتناني تا نخوري نداني.

فأقسمت عليكم باللّه أن تطعمونا من هذه الحلواء التي ما ذاقها الأنبياء، ولا الأوصياء، ولا العلماء من المتأخرين والقدماء، ولا وصفت

أجزاؤها في كتاب منزل، ولا علىٰ لسان نبيّ مرسل، فإمّا أن لا يكونوا علموها ولا وصلوا إليها ولا فهموها، أو وجدوها حلواء ميشومة بأنواع السّم مسمومة، تقتل آكليها بحرارتها، وتقطع أمعاءهم لشدّة مرارتها.

واللّه أنّي أخبرت واختبرت أهل هذه الأقاويل، فوجدتهم بين من يسلك هذه الطريقة، ليتيسّر له تحصيل ملاذ الدنيا، من النظر الى وجوه الأمرد الحسان، والتوصّل إلىٰ ضروب العصيان، وبين من يريد جلالة الشأن، وليس من أهل العلم، حتّىٰ ينال ذلك في كلّ مكان، فيدلس نفسه في اسم طاعة الرحمٰن، وبين ناقص عقل قد امتلأ من الجهل.

وإلاّ فكيف يخفىٰ على الطفل الصغير فضلاً عن الكبير، السيرة النبويّة، والطريقة المحمّديّة، والجادّة الإمامية، حتّىٰ يشتبه عليه التدليس وما عليه إبليس وجنود إبليس، اللّهم انّي أنذرت، اللّهم انّي أخبرت، اللّهم انّي وعظت، اللّهم انّي نصحت، فلا تؤاخذني بذنوب أهل خوي وأمثالهم ياأرحم الراحمين. انتهى.

وله قدّس سرّه مناضلة مع الميرزا محمّد الأخباري قتيل الكرخ سنة(١٢٣٢) وله رسالة في الردّ عليه، أرسلها الى السلطان فتح علي شاه القاجار، وذلك حين التجائه اليه، خوفاً على نفسه الخبيثة، وفراراً من أيدي علماء العراق، ودلّل في الرسالة قبايح أفعال ذلك الرجل ومفاسد اعتقاداته الكفريّة بما لا مزيد عليه. وأورد شطراً من الرسالة في الروضات ٢: ٢٠٣- ٢٠٦، وأعيان الشيعة ٢: ١٠١- ١٠٢.

وله قدّس سرّه مواقف مشهورة أُخرىٰ، واحصاء ما قام به من أعمال جبّارة يستدعي رسالة مستقلّة غير هذا.

موقفه السامية أمام الوهّابيّة:

قال في الأعيان: وكان ـ المترجم ـ شديد الغيرة على الطائفة، عظيم العناية بأُمورها، كثير المناهضة لخصومها، وقد انبرى للردّ على الوهّابيين بيده ولسانه، لمّا عظم خطرهم على العراق، فرّد غاراتهم عن مدينة النجف، وجمع الأسلحة والذخائر في داره، ورتّب المقاتلة على السور، وباشر العلماء القتال بأنفسهم، وشجعوا المقاتلين بتحريضهم حتّى ارتدّ رئيسهم سعود وأصحابه عنها خائبين، وفتحوا كربلاء عنوة ونهبوها، وقتلوا أهلها، وهم أكثر من أهل النجف، وأوفد رسالة خاصّة الى سعود بيّن له فيها فساد ما ينتحلونه من تكفير المسلمين ورميهم بالشرك انتهى.

وقال في الطبقات: وقد دفع المترجم عن النجف كثيراً من الحوادث المهمّة، والوقائع الدامية، منها: حادثة ابن سعود الوهّابي، الذي غار على النجف وحاصرها، فحاربه المترجم مع الأهالي طيلة أربعة أيّام، ردّه منكوساً لم يتمكّن من فتحها، وكان المسؤول الأوّل عن حفظ النجف والدفاع عنها.انتهى.

وقال في ماضي النجف وحاضرها ٣: ١٣٧: للمترجم مساع كريمة، وخدمات عظيمة للدين وللطائفة الإماميّة، وصيانة أُمّته ووطنه من الكوارث التي كادت أن تأتي على النجف، وتدعها في مهب زوابع الحدثان، وقد دحرها عن النجف يوم كانت النجف لا مانع لها، ولا وازع تتخطّفها ذئاب الوهابيين المتوحّشين، الذين ضربوا في الهمجيّة والوحشيّة الرقم القياسي؛ فإنّ وحشيتهم تنفر منها آكلة لحوم البشر، كلّ ذلك عدواة ونفوراً عن الحقّ ودليله، وهم يحسبون أنّهم يحسنون

صنعاً، وما هي إلاّ شنشنة أعرفها من أخزم ونهشة من أرقم، فلا حول ولا قوّة إلاّ باللّه.

وطالما عانت منهم العتبات المقدّسة الأمرين: سفك الدماء، ونهب الأموال، فقد عاثوا في كربلاء المقدّسة كما خلّده التأريخ بالدم القاني، إلاّ أنّهم لم يستطيعوا أن يفعلوا في النجف ما فعلوه في غيرها ببركة هذا الشيخ وأمثاله، فقد هبّ مجالداً عن النجف بنفسه وأولاده والخاصّة من تلامذته، فكان للنجف سوراً حديديّاً قد دفعهم عنها مرّات عديدة، حتّى اندحروا خائبين وتفرّقوا خاسئين.انتهى.

ولا بأس بالإشارة إلى تفصيل ذكر هجمات الوهابيين على النجف، وموقف المترجم عند تجاههم، وحمايته عن بلدة النجف وأهلها، وهذا التفصيل نذكره من كتاب ماضي النجف وحاضرها ١: ٣٢٤ تحت عنوان حادثة الوهّابي.

قال :بعد ظهور بدعة محمّد بن عبد الوهاب، وانتشار مذهب الوهّابيّة في طائفة عنزة، اعتنق هذا المذهب سعود بن عبد العزيز، وبه عظمت شوكة الوهّابيين، وكانت له عدّة هجمات على الحرم الغروي، وكان في كلّ دفعة يقتل الرجل والاثنين ممّن يظفر بهم خارج البلدة، ولم يتمكن من دخولها.

وكان يفاجئهم بجنده الفينة بعد الفينة؛ لأنّ مركزه كان في الرحبة، وهي قريبة من النجف، فإذا سمعوا به أغلقوا الأبواب، فيطوف حول السور، وكلّما وجد أحداً قتله ورمى برأسه داخل البلدة، وكان يأتي من أصحابه العشرة والأكثر، فيدخلون البلدة على حين غفلة من أهلها، فيقتلون وينهبون.

قدمت قافلة من نجد الى العراق، ومعها فوارس من عرب الوهّابي سنة(١٢١٤) فباعت القافلة ما عندها في بغداد، وحملت ما أرادت وعزمت على المسير إلىٰ بلادها، وتوجّه معها من العراق بقصد الحجّ جماعة، وساروا حتّىٰ وصلوا المشهد، فوجدوا هناك فرقة من الخزاعل وهم رفضة، فنظر فوارس الوهّابي إلىٰ أمير الخزاعل يقبل عتبة باب حجرة الامام علي رضي اللّه عنه، فحملوا عليه وقتلوه، ودام القتال ثلاث ساعات، وقتل وجرح من رجال الوهّابي مائة رجل، ومثلهم من عرب الخزاعل، ونهبت أموال الحاجّ العراقي وجمال الوهّابي وخيلهم، وتوجّه الى نجد من سلم منهم، وعاد الى بغداد الحاجّ العراقي. عن غرائب الأثر المخطوط لياسين بن خير اللّه العمري.

وفي مطالع السعود المخطوط ص ١٦٨ ما ملخّصه: أرسل الوزير سليمان باشا والي بغداد عبد العزيز بك الشاوي إلىٰ عبد العزيز بن سعود، ليواجهه في درعيّته، ويكلّمه في ديات من قتلهم خزاعة وسكّان النجف من أهل نجد عندما طلب دياتهم من الوزير، فلمّا قفل الشاوي من حجّة اجتاز بابن سعود، فكلّمه في هذا الأمر، فأبىٰ وطلب من الوزير يكون له غربّي الفرات وللوزير شرقيّه، فعاد ابن شاوي وأبناء الوزير بذلك فأبىٰ.

وهذه الحادثة هي التي غرست بذور الشحناء بين الوهابيين والنجفيّين زيادة على ما عليه الوهابيّون من النصب والبغضاء لكّل مسلم موال ويرونه خارجاً عن الدين، نازحاً عن الإسلام.

وأوّل حادثة للوهّابي كانت سنة(١٢١٦) وهي سنة هجومه على كربلاء وقتله أهلها، فإنّه بعد ما أباحها، وهتك حرمة الحرم الحسيني، توجّه بجنده الى النجف ونازلها.

ذكر هذه الحادثة البحّاثة البراقي، فقال ـ بعد أن ساق سنداً إلىٰ من شاهد الواقعة ـ ما نصّه: لمّا جاء سعود الى النجف وأحاط بها، واشتغل الرمي بالرصاص من الطرفين، قتل أهل النجف خمسة، أحدهم عمّي السيّد علي الحسني الشهير بالبراقي، وكانت شدّة عظيمة على أهل النجف لعلمهم بما صنع بأهالي كربلاء من القتل والنهب، وما فعل بمكّة والمدينة، ولذا برزت المخدّرات من خدورها ومعهنّ العجائز، يشجّعن المقاتلين، ويقفن علىٰ كلّ فرقة ويقلن: أما تستحون على نسائكم أن تهتك وأموالكم أن تنهب وتذهب غيرتكم، واستغاثوا كلّهم بأمير المؤمنين عليه السلام، وعجّوا الى اللّه بالبكاء والعويل، واستجاروا بحامي الجار، فأجارهم، فهزم المنافقين، وشتت شملهم، وشوهدت ضرباته المعلومة.

وفي غرائب الأثر ص ٥٦ قال: وفي سنة(١٢١٥) أرسل الوهّابي سريّة الى العراق لنهب مشهد الامام علي عليه السلام، وهدم قبّته وأخذ ما فيها من الأموال، فالتقىٰ بها أعراب البصرة، وقاتلوهم وكسروها أشد كسرة، وقتل من عرب الوهّابي جماعة، وأخذ منهم ستمائة جمل، وقيل: ألف وستمائة جمل.

وفي المنتظم الناصري ٣: ٧٨ ما ترجمته: في سنة(١٢١٧) غار عبد العزيز الوهّابي على الحرمين والنجف وكربلاء، وجاء لأطراف العراق في عيد الغدير في آخر تلك السنة، وقتل جماعة من العلماء والمجاورين، ومن جملة من قتل العالم الفاضل الكامل العارف مّلا عبد الصمد الهمداني صاحب بحر المعارف، وكان مقيماً في كربلاء أكثر من أربع وأربعين سنة.

والحادثة الثانية للوهّابي هي: لمّا بلغ أهالي النجف نبأ توجّهه الى البلدة، وانّه قاصد مهاجمتها على كلّ حال، فأوّل ما فعلوه أنّهم نقلوا خزانة الأمير عليه السلام إلىٰ بغداد، خوفاً عليها من النهب، كما نهبت خزانة الحرم النبوي، ثمّ أخذوا بالاستعداد له والدفاع عن وطنهم وحياتهم.

وكان القائم بهذا العبء، والمتكفّل لشؤون الدفاع، هو العلاّمة الزعيم الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء ـ رحمه اللّه ـ وساعده بعض العلماء، فأخذ يجمع السلاح، ويجلب ما يحتاج اليه في الدفاع، فما كانت إلاّ أيّام حتّى ورد الوهّابي بجنوده، ونازل النجف ليلاً، فبات تلك الليلة، وعزم على أن يهجم على البلدة نهاراً، ويوسع أهلها قتلاً ونهباً.

وكان الشيخ ـ رحمه اللّه ـ قد أغلق الأبواب، وجعل خلفها الصخور والأحجار، وكانت الأبواب يومئذ صغيرة، وعيّن لكلّ باب عدّة من المقاتلة، وأحاط باقي المقاتلين بالسور من داخل البلدة، وكان السور يومئذ واهي الدعائم، بين كلّ أربعين أو خمسين ذراعاً منه قولة ـ أي حصار ـ وكان قد وضع في كلّ قولة ثلّة من أهل العلم شاكين بالسلاح، فكان جميع مافي البلدة من المقاتلة لا يزيدون على المائتين؛ لأنّ أغلب الأهالي خرجوا هاربين حينما بلغ سمعهم توجّه العدوّ، واستجاروا بعشائر العراق، فلم يبق مع الشيخ إلاّ ثلة من مشاهير العلماء، كالشيخ حسين نجف، والشيخ خضر شلاّل، والسيّد جواد صاحب مفتاح الكرامة، والشيخ مهدي ملاّ كتاب، وغيرهم من المشايخ الأخيار.

ثم انّ الشيخ وأصحابه وطّنوا أنفسهم على الموت؛ لقلّتهم وكثرة عدوّهم. وأمّا إبن سعود، فإنّه بات تلك الليلة بجنده خارج البلدة، وما

أصبح الصباح إلاّ وهم قد انجلوا عن البلدة المشرّفة، وتفرّقوا أيدي سبأ.

وذكر هذه الحادثة العلاّمة السيّد جواد صاحب مفتاح الكرامة في آخر المجلّد الخامس من كتابه المذكور، فقال: تمّ هذا المجلد في أوّل شهر ربيع الأوّل سنة(١٢٢١) مع تشتّت الأحوال، واشتغال البال، بما نابنا من الخارجي الملعون في أرض نجد، فانّه اخترع ما اخترع في الدين، وأباح دماء المسلمين، وتخريب قبور الأئمة المعصومين، إلىٰ أن ذكر هجومه على كربلاء واستيلائه على مكّة المشرّفة والمدينة المنورة.

ثمّ قال: وفي سنة(١٢٢١) في الليلة التاسعة من شهر صفر قبل الصبح بساعة هجم علينا في النجف الأشرف ونحن في غفلة، حتّىٰ أنّ بعض أصحابه صعدوا السور وكادوا يأخذون البلد، فظهرت لأمير المؤمنين عليه السلام المعجزات الظاهرة والكرامات الباهرة، فقتل من جيشه كثيراً ورجع خائباً، وله الحمد علىٰ كلّ حال.

وذكرها أيضاً صاحب كتاب لؤلؤ الصدف ص ١١٢ وكان هو ممّن شاهد الحادثة، وذكر عدد جند الوهّابي، وانّهم خمسة عشر ألف رجل، وقتل منهم سبعمائة رجل.

وذكر السيّد صاحب مفتاح الكرامة في كتابه هذا حادثة اُخرى للوهّابي، قال في آخر المجلّد السابع منه بعد تمامه سنة(١٢٢٥): وقد أحاطت الأعراب من عنيزة القائلين بمقالة الوهابي الخارجي بالنجف الأشرف ومشهد الحسين عليه السلام، وقد قطعوا الطريق، ونهبوا زوّار الحسين عليه السلام بعد منصرفهم من زيارة نصف شعبان، وقتلوا منهم جمعاً غفيراً، وأكثر القتلىٰ من العجم، وربّما قيل: انّهم مائة وخمسون، وقيل أقلّ، وبقي جملة من زوّار العرب في الحلّة ما قدروا على أن يأتوا

الى النجف الأشرف، فبعضهم صام في الحلّة، وبعضهم مشى الى الحسكة.

ونحن الآن كأنّا في حصار، والأعراب إلى الآن ما انصرفوا، وهم من الكوفة الى المشهد الحسين عليه السلام بفرسخين، أو أكثر على ما قيل، والخزاعل متخاذلون مختلفون، كما أنّ آل بعيج وآل جشعم يتقاتلون، كما أنّ والي بغداد جاءه وال آخر وانّه معزول، وهما الآن يتقاتلان، وقد عمت علينا أخبارهما لانقطاع الطرق، وبذلك طمعت عنيزة في الاقامة في هذه الأطراف ولا قوّة إلاّ باللّه.

والخلاصة أنّ حادثة الوهّابي سلسلة حوادث متتابعة على النجف، وفي كلّ هذه الحوادث كانوا يرجعون ناكصين على أعقابهم مدبرين، ويكفي اللّه العباد والبلاد شرّهم.

وكان النجفيّون إذا دهمهم الوهّابي يلتجؤون الى اللّه، وينقطعون اليه ويتوسلون بصاحب المرقد الطاهر عليه السلام، ويلوذون بجنابه فيحميهم ويجيرهم انتهى.

ولادته ووفاته:

ولد المترجم ـ طاب مثواه ـ في النجف سنة (١١٥٦) وفي المعارف سنة (١١٥٤) وفي الأعيان سنة (١١٤٦) والصحيح ما ذكرناه أوّلاً، كما في الحصون المنيعة لحفيده الشيخ علي بن محمّد رضا بن موسى بن جعفر كاشف الغطاء.

وتوفّي في النجف سنة (١٢٢٨) كما في المستدرك، وتكملة أمل الآمل، والاعيان، والكرام البررة. وفي المعارف، وبهجة الآمال، والروضات، وكشف الظنون سنة (١٢٢٧) وأرّخ على هذا التاريخ وفاته

بعضهم: «العلم مات بيوم فقدك جعفر» وهو يطابق سنة (١٢٢٧). وفي كشف الحجب، والروضة البهيّة، وتذكرة العلماء سنة (١٢٣١). وفي معجم المؤلّفين سنة (١٢٢٦) ولعلّ الصحيح ما ذكرناه أوّلا.

ودفن في مقبرته الخاصّة التي أعدّها لنفسه في حياته، وهي مشهورة جنب المدرسة والمسجد في محلّه العمارة، وهي قطعة من ساحة كبيرة أوقفها عليه أمان اللّه خان السنوي المتوفّىٰ سنة (١٢٤١) وأجرىٰ صيغة الوقف عليها في اليوم الثاني والعشرين من شهر ربيع الأوّل سنة (١٢٢٨) وقد عمّر منها مقبرة ومسجداً محاذياً لها، والمدرسة المعروفة بمدرسة المعتمد.

ورثاه بعض الشعراء والأُدباء، ورثاه تلميذه السيّد علي الأمين بقصيدة مطلعها:

أتطلب دنيا بعد فقدك جعفراً ... وتطمع فيها أن تكون معمّراً

وتركن للدهر الخؤون سفاهة ... وتغفل عمّا كنت تسمع أو ترىٰ

وترغب في الدنيا وتعلم حالها ... وتزهد في أُخراك سرّاًومجهرا

إلى أن قال:

ولمّا مضىٰ للخلد جعفر قاضياً ... أفاض من العلم الالهي أبحرا

وموسى هوالبحر المحيط بعلمه ... فيالك بحراً في العلوم وجعفرا

سقى اللّه قبراً ضمّ أعظم جعفر ... وأهداه كافوراً ومسكاً وعنبرا

وغيرهم ممّا لا مجال لذكرهم.

حول الكتاب:

نبدأ أوّلاً بذكر ما قيل في حقّ الكتاب:

قال المحقق الطهراني في الكرام البررة من طبقاته: منهج الرشاد لمن أراد السداد في ردّ الوهّابيّين، كتبه جواباً لكتاب ورده من سعود إمام الوهّابيّة، وهو أوّل كتاب كتب في الردّ عليهم، وهو آية في الإبداع، وسعة الإطّلاع، حوىٰ حقائق علميّة، وحججاً دامغة. انتهى.

وقال العلاّمة الامين في أعيان الشيعة: رسالة منهج الرشاد لمن أراد السداد في ردّ الوهّابيّين، وهي جواب كتاب ورد إليه من سعود إمامهم، ولعلّها أوّل رسالة كتبت في هذا الموضوع، اللهمّ إلاّ أن يكون سبقها كتاب سليمان بن عبد الوهّاب أخي محمّد بن عبد الوهّاب، وقد دلّت علىٰ سعة إطّلاعه، ووفور علمه، وقوّة حجّته، وحوت كثيراً ممّا لم يحوه بعض ما تأخّر عنها، مع أنّ الامر على المتأخر أسهل، فهي من مفاخر ذلك العصر. انتهى.

وقال الشيخ حرز الدين في معارف الرجال: منهج الرشاد لمن أراد السداد، ردّاً على الوهّابيّين، بعد ما كتب اليه كتاباً هبل الوهّابيّة سعود النجدي العنزي.

وقال في الذريعة: منهج الرشاد في ردّ الوهّابيّة، ردّ فيه على الشيخ عبد العزيز بن سعود الوهابي، وهو مشتمل على مقدّمة وخاتمة. انتهى.

والكتاب ـ كما عرفت ـ جواب عن رسالة الشيخ عبد العزيز بن محمّد بن سعود النجدي، وهو الذي شنّ الغارات على الأماكن المباركة، كمدينة ومكّة وكربلاء والنجف، وقد ذكرنا تفصيل غاراته على كربلاء والنجف، وفي حين غاراته كتب رسالة الى المترجم قدّس سرّه تعكس عقائده المزيّفة في نسبة الشيعة الى الشرك والكفر، وأجابه المترجم بكتابه هذا، ويعتبر هذا الكتاب أوّل كتاب اُلّف في ردّ اتّهامات الوهّابيّة

بالنسبة الى الشيعة.

وبعد وصول الكتاب الى الشيخ عبد العزيز قائد الجيش الوهّابي، وتطلّع على جوابه القاطع كالسيف الصارم، كتب رسالة مختصرة الى المترجم وهي: يصل الخطّ انشاء اللّه الى عبد اللّه جعفر راعي المشهد، بسم اللّه الرحمن الرحيم وبه نستعين، السلام التامّ، والتحيّة والإكرام يهدىٰ إلىٰ سيّد الانام محمّد عليه من اللّه أفضل الصلوات والسلام، ثمّ ينتهي إلىٰ جناب الأجلّ الأكرم عبد اللّه جعفر سلّمه اللّه من كلّ شرّ، وأسكنه يوم القيامة جنّة المستقرّ، وأعاذه من عذاب النار الذي يحذّر.

أمّا بعد: فوصل كتابك، وفهمنا ما تضمّنه من خطابك، وما ذكرت أنّه بلغك عنّا من حسن الطريقة، واستقامة السيرة، من الصلوات والزكات، والصيام، والحجّ، وغير ذلك من شرائط الإسلام، فالحمد للّه الذي هدانا للإسلام وجنّبنا من عبادة الأصنام حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه، كما يحبّ ربنّا ويرضىٰ، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله.

وهذه الرسالة عثرنا عليها في آخر النسخة المخطوطة، ولم يعثر عليها مترجموه. والكتاب يقع في مقدّمة ومقاصد وخاتمة. أمّا المقدمة فتشتمل على ثلاث فصول:

الفصل الأوّل: في أنّ الأفعال والكلمات تختلف باختلاف المقاصد والنيّات.

الفصل الثاني: في بيان اختلاف ظواهر الآيات والروايات.

الفصل الثالث: في بيان الميزان التي يرجع اليها إذا تشابهت الأُمور.

وأمّا المقاصد فثمانية: الأوّل: في تحقيق ضروب الكفر.

المقصد الثاني: في تحقيق معنى العبادة.

المقصد الثالث: في الذبح لغير اللّه.

المقصد الرابع: في النذر لغير اللّه.

المقصد الخامس: في القسم بغير اللّه.

المقصد السادس: في الاستغاثة.

المقصد السابع: في التوسّل.

المقصد الثامن في الشفاعة.

والخاتمة تشتمل على أبواب:

الأوّل: في حياة الأموات بعد موتهم. وفيه فصول:

الفصل الأوّل: في حياة النبيّ صلّى اللّه عليه وآله بعد موته.

الفصل الثاني: في حياة سائر الشهداء والأنبياء.

الباب الثاني: في زيارة القبور. وفيه فصلان:

الفصل الأوّل: في زيارة النبيّ صلّى اللّه عليه وآله.

الفصل الثاني: في زيارة سائر القبور.

الباب الثالث: في التبّرك بالقبور ونحوها.

الباب الرابع: في بناء قبور الأنبياء والأولياء.

و الخاتمة: كشف الجواب عمّا تضمّنه ذلك الكتاب. وهو جواب عن رسالة الشيخ عبد العزيز بن سعود.

منهج التحقيق:

قوبل الكتاب على النسخة الفريدة المخطوطة والمطبوعة.

أمّا النسخة المخطوطة، فهي نسخة كاملة مصحّحة، بخطّ النسخ، كاتبها الشيخ محمّد قاسم بن محمّد بن حمزة الولبزي، فرغ من كتابتها سنة (١٢١٠)هـ.ق في حياة المؤلف.

وعلى الصفحة الأُولى من النسخة تملّك الشيخ سليمان العاملي، والسيّد صدر الدين صهر المترجم، والسيّد عبد اللّه بن محمّد رضا شبر، والشيخ محمّد رضا بن علي بن محمّد جعفر الاسترابادي، بخطوطهم قدّس اللّه أسرارهم. وفي آخر النسخة جواب الشيخ عبد العزيز الى المترجم، ولعلّه بخطّه.

وأصل النسخة محفوظة في خزانة مكتبة المرحوم آية اللّه العظمى المرعشي النجفي قدّس سرّه وطاب مثواه، برقم: ٣٨٩٢.

وأمّا النسخة المطبوعة في سنة(١٣٤٣) ه.ق، فهي محرّفة ومغلوطة جدّاً. قال في الاعيان: وطبعت الرسالة في هذا العصر في النجف، لكنّها مع الاسف لم تصحّح تصحيحاً مفيداً، بل حوت من الأغلاط المطبعيّة مايوجب عدم الانتفاع بها.

وقد بذلت الوسع والطاقة في تصحيح الكتاب وتحقيقه، وعرضه على مصادره المنقولة عنها، وتخريج الآيات والروايات والأقوال.

وبالختام أنّي اُقدّم ثنائي العاطر لادارة المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام لنشرها هذا الأثر الخالد والقيّم، بهذه الطباعة الأنيقة، وأسأل اللّه تبارك وتعالى أن يوفّقهم ويسدّدهم لنشر سائر آثار أسلافنا المتقدّمين.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

السيّد مهدي الرجائي

١٨ / رمضان المبارك / ١٤١٣ه.ق قم المقدّسة

ص - ب ٣٧١٨٥-٧٥٣



لِمَنْ
أَرَادَ السَّدَادَ

بسم اللّٰه الرّحمٰن الرّحيم

الحمد للّٰهِ ربّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ خاتم النبيّين، محمّد سيّد الأوّلين والآخرين.

الحمد للّٰهِ الذي تفرّد بالوحدانيّة[1] والقدم، واشتقّ نور الوجود من ظلمة العدم، وأسّس قواعد الشرع على وفق المصالح والحكم.

وفضّل اُمّة محمّد صلّى اللّٰه عليه وآله علىٰ سائر الأُمم[2]، وأنزل القرآن فيه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب واُخر متشابهات[3]، وحذّر عن اتّباع الملاذّ والشهوات، وأمر بالوقوف عند الشبهات، وأنذر عن متابعة الآباء والاُمّهات.

والصلاة والسلام علىٰ من قدّمه علىٰ جميع أنبيائه، وفضّله علىٰ كافّة

---

(١) في «ن»: بالأزليّة.

(٢) كما تدلّ عليه الآية الشريفة ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران: ١١٠.

(٣) اقتباس من الآية الشريفة ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ الآية، آل عمران: ٧.

أصفيائه، محمّد المختار، صلّى اللّه عليه وآله[١]، ما أظلم ليل، وأضاء نهار.

أمّا بعد: فقد ورد إلى المقصّر مع ربّه، التائب إليه من ذنبه، الطالب من اللّه السداد جعفر أقلّ طلبة أهل بغداد كتاب كريم، مشتمل علىٰ كلمات كالدرّ النظيم، ممّن لم يزل بالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً زاجراً، الآمر بعبادة المعبُود الشيخ عبد العزيز بن سُعود[٢].

فلمّا نظرته وتدبّرته وتأمّلته وتصوّرته، خلوت في زاوية من الدار، وتصفّحته تصفّح الإنصاف والإعتبار.

وقلت متّهماً لنفسي بالميل إلى العصبيّة والعناد، والركُون إلىٰ ما عليه الآباء والأجداد: يا نفس إعرفي قدر دنياك، واحذري شرَّ من أغوىٰ آباك، لقد تخلّيت عن نعيم الدنيا بحذافيرها، وقنعت بقليلها ولو بقرص

---

(١) في ن: وعلىٰ آله.

(٢) هو عبد العزيز بن محمّد بن سعود، وكان والده محمّد بن سعود تولّى امارة الدرعيّة سنة (١١٥٨) هـ الى سنة (١١٧٨) وهو صاحب محمد بن عبد الوهاب مؤسس المذهب الوهابيّة، كان محمّد بن سعود أوّل حاكم وهّابي في نجد والحجاز، واختار محمّد بن سعود ولده عبد العزيز ولياً للعهد من بعده باقتراح محمّد بن عبد الوهّاب، ومنذ ذلك العهد أصبحت الامارة تنتقل بالمبايعة بولاية العهد الى الآن، وألّف عبد العزيز السعودي الوهّابي جيشاً بقيادة ولده سعود، وغزا مكّة وهدم قبّة مولد النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، وقبّة السيّدة خديجة، وقبّة زمزم، والقباب التي حول الكعبة، وفي سنة (١٢٢١) هـ.ق غزا المدينة، وهدم قبور أئمّة البقيع وغيرها، وغزا عبد العزيز في سنة (١٢١٦) هـ.ق كربلاء بجيشه الذي قاده ولده سعود، وهدم قبر الحسين عليه السلام، ونهب جميع ما فيه من الذخائر، الى أن قتل عبد العزيز في سنة (١٢١٨) هـ.ق في حياة المؤلّف، اغتاله رجل من الشيعة انتقاماً منه لما فعله بضريح الحسين عليه السلام في كربلاء.

شعيرها، وتجنّبت دار العزّ والوقار، واخترت العزلة والخمول في هذه الديار.

فلو كنت في كبار البلدان من ممالك بني عثمان، أو في بعض بلدان فارس وإيران، لجائت إليك الدنيا من كلّ جانب ومكان، ونلت من النعيم ما لم ينله إنسان، فإحذري أن تكوني مع الإعراض عن هذه النعم الفاخرة، ممّن قد خسر الدنيا والآخرة.

فلمّا شممت منها رائحة التصفية، ورأيت أنّ نسبة المذاهب ـ لولا اللّه عندها ـ على التسوية، وجهتها إلى الكشف عن حقيقة الجواب عن الشبه الموردة في ذلك الكتاب، ورأيت أن أشرح في الحال رسالة علىٰ وجه الإقتصار، مستمدّاً من فيض الواحد القهّار، وسمّيتها **«منهج الرشاد لمن أراد السداد»**.

فأُقسم عليك بمن جعلك متبوعاً بعد أن كنت تابعاً، ومطاعاً بعد أن كنت لغيرك مطيعاً سامعا، وأعزّك بعد ما كنت ذليلاً، وكثّر جمعك بعد ما كان نزراً قليلاً.

أن تنظر ما رسمته سطراً سطرا، وتمعن في تحقيق ما رقمته نظراً وفكراً، متوحّشاً من الناس وقت النظر، متحذّراً من النفس الأمّارة كلّ الحذر، طالباً من اللّه كشف الحقيقة، سالكاً في المناظرة واضح الطريقة، فلعلّه يظهر أنّه ليس بيننا نزاع، فنحمد اللّه على الإتّفاق والإجتماع، وقد رتّبتها علىٰ مقدّمة، ومقاصد، وخاتمة.

أمّا المقدّمة، فتشتمل علىٰ ثلاث[1] فصول:

---

(١) في «ن»: ثلاثة.

الفصل الأوّل

(في أنّ الافعال والكلمات تختلف باختلاف المقاصد والنيّات)

فمن قال: يد اللّه، وعين اللّه، وجنب اللّه، وأراد الجوارح علىٰ نحو ما في الأجسام، أو قال: إنّ اللّه على العرش استوىٰ، أو في جهة الفوق، وأراد الحلول والإختصاص التامّ، أو أسند الرحمة إليه، أو الغضب، وأراد رقّة القلب، أو ثوران النفس علىٰ نحو ما يعرف بين الأنام، أو أسند الرزق إلى المخلوق، أو دعاه، أو استغاث به علىٰ نحو ما يسنده إلى الملك العلاّم، كان خارجاً عن مقالة أهل الإسلام.

وأمّا من قصد بها معانٍ اُخر، فليس عليه من بأس ولا ضرر. وليس هذا كصنيع المشركين، فإنّ الفرق ظاهر، كما سنبيّنه كمال التبيين، فالمستغيث بالمنسوب مستغيث بالمنسوب إليه، وآلمستجير بالمكان مستجير بمن سلطانه عليه.

فمن أراد الاستجارة والإستغاثة بزيد، فله طريقان:

أحدهما: أن يهتف باسمه.

وثانيهما أقرب اد أن ينادي بصفاته، أو مكانه، أو خدمه..

وأقرب إلى الأدب، وأرغب لطباع أرباب الرتب، فلا يكون المستغيث ببيت اللّه، أو بصفات اللّه، أو برسل اللّه، أو المقرّبين عند اللّه، إلاّ مستغيثاً باللّه.

فكلّما دعا مخلوقاً مقرَّباً عند اللّه، أو استغاث به قاصداً بحسن التعبير الإستغاثة باللطيف الخبير، فليس عليه بأس في ذلك، بل هو سالك في الآداب أحسن المسالك.

وكذلك من أسند تلك الأشياء لمجرّد الربط الصوري، لا علىٰ قصد

التأثير الحقيقي، كما يقال: أنبت الربيع البقل، والمنبت هو اللّه، وبنى الأمير القصر، والباني سواه.

فإطلاق السيّد والمالك علىٰ غير اللّه، وإضافة العبد والمملوك في الأحرار إلىٰ غير اللّه، إن أُريد بها الملكيّة الحقيقيّة، كان خروجاً عن الطريقة الشرعيّة، وإلاّ لم يكن في ذلك بأس بالكليّة.

ولهذا ورد في الأخبار النبويّة إطلاق السيّد[1] علىٰ غير اللّه.

روى أبو هريرة عن النبي صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة[2].

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة[3].

وعن علي عليه السلام، عن النبي صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: أبوبكر وعمر سيّدا كهول أهل الجنّة[4].

وعن فاطمة عليها السلام: انّ النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أخبرني أنّي

---

(١) قال الهروي: السيّد هو الذي يفوق قومه في الخير. وقال غيره: هو الذي يفزع اليه في النوائب والشدائد، فيقوم بأمرهم، ويتحمّل عنهم مكارههم ويدفعها عنهم.

(٢) رواه مسلم في صحيحه [٤: ١٧٨٢ ح ٣] بسند متّصل عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة، وأوّل من ينشقّ عنه القبر، وأوّل شافع وأوّل مشفّع.

(٣) رواه أحمد بن حنبل في مسنده ٣: ٣ و٦٢ و٨٢ ط الميمنية بمصر، والترمذي في صحيحه ٥: ٦١٩، والنسّائي في الخصائص: ٣٦، والطحاوي في مشكل الآثار ٢: ٣٩٣، والحاكم في المستدرك ٣: ١٦٦ وغيرهم.

(٤) كنز العمّال ١٣: ١٠ برقم: ٣٦١٠٥، وصحيح الترمذي ٥: ٥٧١ وأورد المؤلّف هذا الخبر شاهداً لا إعتقاداً.

سيّدة نسآء العالمين. رواه الترمذي[١].

وروى أبو نعيم الحافظ، قال: قال النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: اُدعوا لي سيّد العرب عليّا[٢].

وفي حلية الأولياء أنّه قال النبيّ صلّى اللّه عليه وآله لعلي عليه السلام: مرحباً بسيّد المؤمنين[٣].

وعن أبي بكرة عن النبي صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال للحسن عليه السلام: إبني هذا سيّد[٤].

وعن عائشة عن النبي صلّى اللّه عليه وآله أنّه سارّ إبنته الزهرآء عليها السلام، فقال لها: أما ترضين أن تكوني سيّدة نساء العالمين أو المؤمنين[٥].

---

(١) روى الترمذي في صحيحه [٥: ٦٥٨ ح ٣٨٧٣] باسناده عن اُمّ سلمة أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم دعا فاطمة عليها السلام يوم الفتح، فناجاها، فبكت، ثمّ حدّثها فضحكت. قالت: فلمّا توفّي رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله سألتها عن بكائها وضحكها، قالت: أخبرني رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أنّه يموت فبكيت، ثمّ أخبرني أنّي سيّدة نساء أهل الجنّة الاّ مريم ابنة عمران، فضحكت.

(٢) حلية الأولياء ١: ٦٣ ط دار الفكر بيروت.

(٣) حلية الأولياء ١: ٦٦، وفيه: مرحباً بسيّد المسلمين وإمام المتّقين.

(٤) رواه الترمذي في صحيحه ٥: ٦١٦ باسناده عن أبي بكرة، قال: صعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم المنبر، فقال: إنّ ابني هذا سيّد، يصلح اللّه على يديه فئتين عظيمتين. ثم قال: هذا حديث حسن صحيح، يعني الحسن بن علي عليهما السلام.

(٥) رواه الحافظ أبو داود الطيالسي في المسند: ١٩٦ ط حيدر آباد، وابن سعد في الطبقات ٨: ٢٦ ط دار الصادر، والنسّائي في الخصائص: ٣٤، والحاكم في المستدرك ٣: ١٥٦، والبغوي في مصابيح السنّة ٢: ٢٠٤، وابن الأثير في اُسد الغابة ٥: ٥٢٢، والذهبي في تاريخ الاسلام ٢: ٩٤، والقندوزي في ينابيع المودّة: ٢٦٠. وغيرهم.

وروي ذلك عن الصحابة أيضاً، فعن جابر أنّ عمر كان يقول: إنّ ابا بكر سيّدنا وأعتق سيّدنا، يعني: بلالاً. رواه البخاري[١].

وعن أبي بكر، قال: أتقولون هذا شيخ قريش وسيّدهم[٢].

وعن عائشة عن النبي صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: أنا سيّد ولد آدم، وعليّ سيّد العرب[٣].

وروي عن النبي صلّى اللّه عليه وآله: أنّ سادات النساء أربعة: خديجة، وفاطمة، ومريم، وآسية[٤].

وعن علي عليه السلام أنا سيّد البطحاء[٥]. إلى غير ذلك مما يزيد على التواتر.

فالجمع بين ذلك وبين ما روي في الكتب المعتبرة أنّه جاء وفد إلى النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، فقالوا: أنت سيّدنا، فقال: السيّد اللّه[٦]. باختلاف القصد في معنى السيّد.

وكذا ما روي من المنع من قول السيّد عبدى وأمتي فلان، فقول العبد لمولاه ربّي، مع وجود ذلك في كلام يوسف[٧].

---

(١) صحيح البخارى ٤: ٢١٧، باب مناقب بلال بن رباح.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٩٤٧، باب فضائل سلمان وصهيب وبلال.

(٣) حلية الأولياء ١: ٦٣.

(٤) رواه ابن كثير في البداية والنهاية ٢: ٦١ ط مصر، وابن حجر في التهذيب ١٢: ٤٤١.

(٥) روى نحوه الحاكم في المستدرك ٤: ٥٧٣.

(٦) رواه أحمد بن حنبل في مسنده [٤: ٢٤ - ٢٥] باسناده عن عبد اللّه بن الشخير، قال: جاء رجل الى النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، فقال: أنت سيّد قريش، فقال النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: السيّد اللّه الحديث.

(٧) سورة يوسف: ٢٣: قوله تعالىٰ ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلّقت الأبواب

وكذلك الإستغاثة بغير اللّه، إن أُريد به الصورة، أو من باب إستغاثة العبد بقصد المعبود، فلا بأس بها، وعلى ذلك قوله تعالىٰ ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذي مِنْ شيعَتِهِ عَلَى الَّذي مِنْ عَدُوِّه﴾ [١] وكذا قوله ﴿يَسْتَصْرِخُهُ﴾ [٢].

وكذلك إطلاق الربّ في بعض المعاني علىٰ غير اللّه كفر، مع أنّ الصدّيق يوسف قال ﴿أذْكُرْني عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [٣] وكذلك اسناد الرّزق إلىٰ غير اللّه [٤] علىٰ وجه الحقيقة كفر، وقال اللّه تعالى: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيها وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾ [٥] وقال تعالى: ﴿يا أيُّها الْعَزيزُ مَسَّنا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ [٦] ونحو ﴿اِسْتَطْعَما أَهْلَها﴾ [٧].

ومن ذلك قول القائل: لولا فلان لكان كذا، فإن أراد أنّه الفاعل المختار، دخل في أقسام الكفّار. وإن أراد العليّة الصوريّة بمجرّد [٨] رابطة جزئيّة، لم يكن عليه بأس بالكليّة.

وقالت هيت لك قال معاذ اللّه انه ربّي أحسن مثواي انّه لا يفلح الظالمون﴾ وقوله تعالى ﴿وقال الملك ائتوني به فلمّا جاءه الرسول قال ارجع الى ربّك فاسأله ما بال النسوة التي قطّعن أيديهنّ إنّ ربّي بكيدهنّ عليم﴾ يوسف: ٥٠.

(١) القصص: ١٥.

(٢) القصص: ١٨.

(٣) يوسف: ٤٢.

(٤) في «ن»: وكذلك طلب الرزق من غير اللّه.

(٥) النساء: ٥.

(٦) يوسف: ٨٨.

(٧) الكهف: ٧٧.

(٨) في «ن»: لمجرّد.

ولذلك ورد عن سيّد الأنام: لولا قومك حديثوا عهد بالإسلام[١] لهدمت الكعبة[٢].

وعن أبي سفيان الثوري أنه قال: لولا هذه الدنيا لكان الملوك كذا[٣].

وعن عمر أنّه قال لعليّ عليه السلام لمّا أشار عليه بعدم أخذ حليّ الكعبة: لولا عليّ لافتضحنا[٤].

وعن النبي صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال لعليّ عليه السلام: لولا أن تقول الناس فيك ما قالت النصارى لقلت فيك كذا وكذا[٥].

وورد في صحيح الأثر عن الفاروق عمر أنّه قال: لولا عليٌّ لهلك عمر[٦]. ولم ينكر عليه أحد من الصحابة، إلىٰ غير ذلك.

وكذلك الحلف بغير اللّه إن أُريد به الحلف علىٰ جهة إثبات الدعوى،

---

(١) وفي صحيح مسلم: بالكفر، وبجاهليّة، وبشرك.

(٢) صحيح مسلم ٢: ٩٦٩، باب نقض الكعبة وبنائها.

(٣) لم أعثر عليه في مظانّه.

(٤) رواه في الاحقاق ٨: ٢٠٣ ح ٨ عن ربيع الأبرار للزمخشري، قال: قيل لعمر: لو أخذت حليّ الكعبة، فجهّز به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر، وما تصنع الكعبة بالحليّ، فهمّ بذلك، فسأل عليّاً عليه السلام، فقال: إنّ القرآن أُنزل على النبيّ صلّى اللّه عليه وآله والأموال أربعة: أموال المسلمين فقسّمها بين الورثة في الفرائض، والفيء فقسّمه على مستحقّيه، والخمس فوضعه اللّه حيث وضعه، والصدقات فجعلها اللّه حيث جعلها، وكان حليّ الكعبة فيها يومئذ، فتركه اللّه علىٰ حاله ولم يتركه نسياناً، ولم يخف عليه مكاناً، فأقرّه حيث أقرّه اللّه ورسوله، فقال له عمر: لولاك لافتضحنا، وتركه. ورواه في أرجح المطالب: ١٢٢ ط لاهور.

(٥) روىٰ نحوه أحمد بن حنبل في مسنده ١: ١٦٠، والحاكم في المستدرك ٣: ١٢٣.

(٦) رواه جمع من أعلام السنّة، منهم إبن قتيبة الدينوري في تأويل مختلف الحديث: ٢٠٢، والقندوزي في ينابيع المودّة: ٧٠، والخوارزمي: ٤٨، وراجع احقاق الحق ٨: ١٨٢ - ١٩٢.

كان خارجاً عن الشريعة، وإلاّ لم يكن قسماً على الحقيقة.

والحديث الذي فيه: من حلف بغير اللّه، فقد أشرك[١]. محمول علىٰ حقيقة الحلف، وسيجيء تفصيله في المقصد الخامس.

وكذلك إطلاق اليد والرجل والقدم وغير ذلك بالنسبة إلى اللّه على الحقيقة[٢] من غير تأويل لم يتوهّمه سوىٰ نزر قليل.

مع أنّه روىٰ أبو هريرة عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: أنّ النّار لاتمتلىء حتّى يضع اللّه رجله فيها[٣].

وعن أنس عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّ النار لا تمتلىء حتّى يضع اللّه قدمه فيها[٤].

ومن ذلك نسبة الضحك والعجب إلى اللّه تعالىٰ، فإنّ إرادة الحقيقة بعيدة عن الطريقة.

مع أنّ أبا هريرة روىٰ عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: لقد عجب اللّه، أو ضحك اللّه، عن فلان وفلانة ونقل قصّته[٥].

---

(١) كنز العمّال ١٦: ٦٨٧، برقم: ٤٦٣٢٨.

(٢) في نسخة «ن»: لا يوافق الطريقة، وشخط على قوله «من غير تأويل» الى قوله «نزر قليل».

(٣) صحيح البخاري ٨: ١٦٧.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٥٠٧، و٣: ١٣.

(٥) رواه البخاري في صحيحه ٤: ٢٢٦، باسناده عن أبي هريرة أنّ رجلاً أتىٰ النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، فبعث إلىٰ نسائه، فقلن ما معنا إلاّ الماء، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: من يضمّ أو يضيف هذا، فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلىٰ إمرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، فقالت: ما عندنا إلاّ قوت صبياني، فقال: هيّئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونوّمي صبيانك اذا أرادوا عشاءً، فهيّأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونوّمت صبيانها، ثمّ قامت كأنّها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنّهما يأكلان، فباتا

فبإختلاف المعاني إختلفت المباني، وكذلك مسألة الأفعال[1]، فإنّها شبيهة الأقوال، فإنّ القيام للتواضع قد وردالنهي عنه.

روىٰ أبو أُسامة عن النبي صلّى اللّه عليه وآله أنّه خرج متّكأً على عصىً، فقمنا له، فقال: لا تقوموا كما تقوم الأعاجم بعضهم لبعض. رواه أبو داود[2].

وروىٰ ابن عمر عن النبي صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: لا يقيم الرجل من مجلسه، ثمّ يجلس فيه، ولكن تفسّحوا وتوسّعوا[3].

وعن أنس أنّه قال: لم يكن شخص أحبّ إليهم من النبي صلّى اللّه عليه وآله وكانوا إذا رأوه لم يقوموا، لما يعلمون من كراهيته لذلك. رواه الترمذي، وقال: هذا خبر صحيح[4].

فينبغي أن ينزّل المنع علىٰ قيام خاصّ، كأن يقوم منحنياً، كالراكع علىٰ نحو ما يصنع الفرس القديمة قبل الإسلام، أو على اختلاف الأغراض والمقاصد.

كما روي عن معاوية أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه وآله قال: من سرّه أن

طاويين، فلمّا أصبح غدا إلىٰ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، فقال: ضحك اللّه الليلة أو عجب من فعالكما، فأنزل اللّه ﴿ويؤثرون علىٰ أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شحّ نفسه فأُولئك هم المفلحون﴾.

(١) في «ط»: الإدخال.

(٢) سنن أبي داود ٤: ٣٥٨، كتاب الأدب، باب في قيام الرجل للرجل، برقم: ٥٢٣٠.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٢: ١٦ - ١٧.

(٤) سنن الترمذي ٥: ٨٤، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل، برقم: ٢٧٥٤.

يتمثّل له الرجال قياماً، فليتبوّء مقعده من النار[١].

وربّما ينزّل كراهته لذلك علىٰ نحو كراهته لملاذّ الدنيا، وزهده في القيام كزهده في مباحاته[٢].

فقد روىٰ أبو سعيد الخدري أنّ سعداً جاء علىٰ حمار، فلمّا دنىٰ من المسجد، قال النبي صلّى اللّه عليه وآله: قوموا إلىٰ سيّدكم[٣].

وعن عائشة قالت: كنت جالسة متربّعة، فجاء النبي صلّى اللّه عليه وآله فأردت القيام، كما هي عادتي عند دخوله، فمنعني[٤].

فإنّ فيه دلالة علىٰ أنّ ذلك كان معتاداً لها، ولعلّ هذا المنع كان لسبب خاصّ، أو كزهد الدنيا، وكسر النفس.

وروي عن النبي صلّى اللّه عليه وآله أنّه لمّا قدم جعفر مبشّراً بفتح خيبر، قام، فقال: ما أدري بأيّهما أنا أشدّ فرحاً؟ أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر[٥].

مع ما ورد في الأخبار الكثيرة، من إستحباب تعظيم المؤمن، ويدخل في تعظيم شعائر اللّه علىٰ نحو ما ورد في التفاسير المعتبرة.

---

(١) رواه الترمذي في سننه ٥: ٨٤، برقم: ٢٧٥٥ باسناده عن أبي مجلز، قال: خرج معاوية، فقام عبد اللّه بن الزبير وابن صفوان حين رأوه، فقال: أجلسا، سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله يقول: من سرّه أن يتمثّل له الرجال قياماً، فليتبوّء مقعده من النار. ورواه ابن داود في سننه ٤: ٣٥٨، برقم: ٥٢٢٩.

(٢) في «ن»: مباحاتها.

(٣) سنن أبي داود ٤: ٣٥٥، برقم: ٥٢١٦.

(٤) راجع سنن أبي داود ٤: ٣٥٥، برقم: ٥٢١٧.

(٥) كنز العمّال ١١: ٦٦٥، برقم: ٣٣٢١٦، و٣٣٢١٧، ٣٣٢١٨، و١٣: ٣٢٣، برقم: ٣٦٩١٤.

وعن أبي هريرة أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه وآله كان يجلس معنا في المسجد يحدّثنا، فإذا قام قمنا لقيامه، حتّىٰ نراه دخل بعض بيُوت أزواجه[١].

وعن واثلة قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: إنّ للمسلم لحقّاً إذا رآه أخوه تزحزح له. رواه البيهقي في شعب الايمان[٢].

ولعلّ هٰذا مبنيّ علىٰ أنّ التواضع تختلف أقسامه باختلاف الأزمان، وكيف كان فالذي يظهر بعد التأمّل التامّ إختلاف الأقوال والأفعال باختلاف المقاصد والأحوال.

ومن ذلك إختلاف أحوال الزّهاد، فبعض ترك المآكل والملابس الحسان، واقتصر على الجشب والخشن، وبعضهم يأكل من أطيب المأكول، ويلبس من أنعم الملبوس.

ثمّ إنّ الأفعال المختلفة بعضها لاٰ ينسب إلىٰ غير اللّه، كإيجاد الكائنات، وصنع المصنوعات. وبعضها لاٰ ينسب إلى اللّه، كأفعال القبائح والمنفرات، وبعضهاتختلف معانيها ومقاصدها، فتنسب إلى الخالق مرّة والمخلوق أُخرى. وهذا القول[٣] متمشّ علىٰ قول من لم يثبت فاعلاً سوى اللّه، وعلىٰ قول من أثبت.

---

(١) كنز العمّال ٧: ٢٢١، برقم: ١٨٧١٠.

(٢) روى نحوه في كنز العمال ٩: ٤١. قال في كشف الظنون ١: ٥٧٤: الجامع المصنفّ في شعب الايمان، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي، المتوفّىٰ سنة (٤٥٨) وهو كبير من الكتب المشهورة، وله مختصرات. أقول: وحيث لم أظفر على أصل الكتاب، نقلت نحو الحديث في الخصال عن كتاب كنز العمّال.

(٣) في «ن»: الحكم.

والمعيار أنّه متىٰ قام إحتمال إرادة وجه صحيح بني عليه، لقوله صلّى اللّه عليه وآله: إدرؤا الحدُود بالشبهات[١]. ولا تقل في الناس إلاّ خيراً. وما دلّ على النهي عن سوء الظنّ، فكيف بالشكّ.

وعن عائشة عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: إدرؤا الحدُود عن المسلمين ما استطعتم[٢].

فالناس إذاً في صدُور أمثال هذه الأُمور عنهم علىٰ أنحاء:

بين علماء عاملين، مقاصدهم صحيحة، فلا يتعمّدون بالأقوال والأفعال، إلاّ الوجوه السليمة من القيل والقال.

وبين أعوام جهّال بنوا علىٰ ما بني عليه علماؤهم على الإجمال، وليس لهم قابليّة التفتيش علىٰ حقيقة الحال، فهم أيضاً معذورون عند رَبّ العزّة والجلال.

وبين من بنوا[٣] علىٰ طريقة الضلال، وعليهم المؤاخذة بضروب النكال.

والتحقيق أنّ تبدّل الأحكام بتبدّل الموضوعات، ليس من باب التشريع والابداع، مثلاً يستحبّ للنساء التزيّن لرجالهنّ، فمنذ كان لبس السواد زينة أُستحبّ، فإذا انعكس وصار الميل إلى الأحمر والأصفر إنعكس الخطاب.

وألوان اللباس تختلف باختلاف الناس، ففي كلّ بلاد[٤] يستحبّ لون

---

(١) كنز العمّال ٥: ٣٠٥، برقم: ١٢٩٥٨، و٣٠٩ برقم: ١٢٩٧٢.

(٢) مستدرك الحاكم ٤: ٣٨٤، وكنز العمّال ٥: ٣٠٩، برقم: ١٢٩٧١.

(٣) في «ط»: بني.

(٤) في «ط»: وقت.

ونوع، فإنّه قد يكونُ في مكان لباس شهرة، وفي آخر بعكسه، وفي موضع من لباس النساء، وفي موضع بعكسه.

وكذا كانت رغبة الناس في طيب الكافور، فكرهه اليوم.

وكذلك إكرام الضيف بالمآكل، وكذا المراكب، فيختلف الحال باختلاف الأحوال.

وكذا طريق التواضع، وتعلية البناء، ولباس الزهد.

والزهد في المأكول يختلف باختلاف الأزمنة، والأمكنة، والأحوال، والمقاصد، وعلىٰ ذلك مبنىٰ كثير من اختلاف[١] الأخبار.

وكذا يستحبّ التأهّب لجهاد الكفّار بأحسن السلاح، وكان أطيبها السيوف والرّماح، وصار الأحسن في هذه الأيّام التفك[٢] المعروف بين الأنام.

وكذا الوصول إلى بعض الأرضين لا يستحبّ، حتّىٰ تجعل مقبرة للمسلمين.

فاختلاف الأزمنة والأمكنة والجهات، قد يبعث على اختلاف الأحكام، لإختلاف الموضوعات. وربّما بني علىٰ ذلك إختلاف كثير من الأخبار، وطريقة[٣] المسلمين على اختلاف الأعصار.

وفّقنا الله وإيّاكم لسلوك الجادّة المستقيمة، والأخذ بالطريقة السليمة، وردّني الله إليك إن كنت على الحقّ، وردّك إليّ إن كان الحقّ

---

(١) في «ط»: مختلفات. واختلافات ـ خ ل.

(٢) في «ن»: البندق.

(٣) في «ط»: طريق.

معي ومع أكثر الخلق.

الفصل الثاني

(في بيان اختلاف ظواهر الآيات والرّوايات)

وإنّ لكلّ من الحقّ والباطل مأخذ، كما روي: إنّ لكلّ حقّ حقيقة، ولكلّ صواب نُوراً[١]، فمن أراد الحقّ اُهتدي إليه، ومن أراد الباطل كان له ميدان في المجادلة عليه.

فمن خرج عن جادّة الإنصاف وسلك طريق الغيّ والإعتساف، ولم يرجع إلىٰ سيرة الصحابة والتابعين، أمكنه أن يستند إلىٰ ظاهر القرآن المبين فيما يخرج عن شريعة سيّد المرسلين.

فإنّ الوعيديّة المنكرين للعفو، الموجبين للمؤاخذة على المعاصي، يمكنهم الإستدلال بآية سورة الزلزال ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[٢].

والوعديّة القائلين برفع المؤاخذة بالكليّة، وانّ اللّه لا يعاقب علىٰ معصية، لهم الإستناد إلىٰ قوله تعالىٰ ﴿يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[٣] ووعده لا خلف فيه.

والمثبتون للرؤية في الآخرة يستندُونَ إلىٰ قوله تعالىٰ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ * إِلىٰ رَبِّها ناظِرَةٌ﴾[٤].

---

(١) راجع كنز العمّال ١: ٢٥، ح ١٢، و١٣: ٣٥٣.

(٢) الزلزلة: ٧ – ٨.

(٣) الزمر: ٥٣.

(٤) القيامة: ٢٢: ٢٣.

والنافون إلىٰ قوله تعالىٰ ﴿لاٰ تُدْرِكُهُ الْأَبْصاٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصاٰرَ﴾ [١].

والقائلون بأنّ اللّه على العرش بآية ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ﴾ [٢].

والنافون بقوله تعالىٰ ﴿إِنَّ اللّه مَعَناٰ﴾ [٣] و﴿إِنَّ مَعي رَبّي سَيَهْدينِ﴾ [٤] ﴿وَماٰ يَكُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاٰثَةٍ إلاّ هُوَ راٰبِعُهُمْ﴾ [٥].

والقائلون بالتجسيم على الحقيقة يستندُون إلىٰ مثل قوله ﴿يَدُ اللّهِ فَوْقَ أَيْديهِمْ﴾ [٦].

والنافون إلىٰ قوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [٧] ونحوها.

والقائلون بجواز المعصية على الأنبياء يستندُون إلىٰ مثل قوله تعالىٰ ﴿وَعصىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوىٰ﴾ [٨].

والنافُون بمثل قوله ﴿لاٰ يَناٰلُ عَهْدِيَ الظّاٰلِمينَ﴾ [٩].

والقائلون باستناد جميع الأفعال إلى اللّه، استندوا إلىٰ قوله ﴿خاٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [١٠] وقوله ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللّهِ﴾ [١١].

---

(١) الأنعام: ١٠٣.

(٢) طه: ٥.

(٣) التوبة: ٤٠.

(٤) الشعراء: ٦٢.

(٥) المجادلة: ٧.

(٦) الفتح: ١٠.

(٧) الشورىٰ: ١١.

(٨) طه: ١٢١.

(٩) البقرة: ١٢٤.

(١٠) الانعام: ١٠٢ والرعد: ١٦، والزمر: ٦٢، وغافر: ٦٢.

(١١) النساء: ٧٨.

والآخرون إلىٰ قوله ﴿ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّٰهِ وَما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[١].

والقائلون بأنّ الكفّار مخاطبُون بالفروع بعمُوم ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾[٢].

والنافُون لذلك بخطاب ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٣] إلىٰ غير ذلك.

وكذا في الفرُوع الفقهيّة، فإنّ كلاً من الفقهاء له مأخذ من الكتاب والسنّة، مغاير لمأخذ صاحبه، كما لا يخفىٰ على المتتبّع.

ولمن أراد أن يبيح جميع الأشياء قوله تعالىٰ ﴿خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ﴾[٤] أو ما دلّ[٥] علىٰ تحليل جميع الأشياء ما عدا الميتة، والدّم، ولحم الخنزير، وما أُهلّ به لغير اللّه[٦]، من جميع ما خلق اللّه.

والحاصل أنّ كلّ من أراد العناد والعصبيّة، فله مدرك يتشبّث به من آية قرآنيّة، أو سنّة محمّديّة، ويكون صاحب مذهب ورأي، ويباحث الفضلاء، ويناظر[٧] أساطين العلماء، ما لم يكن له حاجب من تقوى اللّه.

ولقد أجاد بعض القدماء من فحول العلماء، حيث يقول: إنّ المسائل الشرعيّة عندي بمنزلة الشمع الليّن، أُصوّرها كيف شئت لولا تقوى الله.

---

(١) النساء: ٧٩.

(٢) البقرة: ٢١.

(٣) البقرة: ١٠٤. وغيرها.

(٤) البقرة: ٢٩.

(٥) في هامش «ن»: ومن قصّر التحريم على أربعة إستند الى ما دلّ. ظ.

(٦) الآيات الدالّة على ذلك هي: البقرة: ١٧٣، المائدة: ٣، النحل: ١١٥.

(٧) في «ن»: ويناضل.

ونقل أنّ بعض الفضلاء أخذ قطعة من قرطاس في محفل من الناس، فأورد عليهم براهين علىٰ أنّها قطعة ذهب، حتّىٰ أقرّوا بذلك.

ولكن من أراد رضا الجبّار، ورجا الفوز بالجنّة، وخاف عذاب النار، ينظر إلى المعادلة في الدلالات، ثمّ ينظر المرجّحات الخارجيّات، وأولاها[1] التأمّل في طريقة الصحابة وسيرتهم، فإنّها أعظم شاهد علىٰ ما حكم به الجبّار، وجرت عليه سنّة النبيّ المختار صلّى اللّه عليه وآله، فإنّ لكلّ ملّة طريقة يرجعُون إليها، ويعوّلون عند وقوع الإشتباه عليها.

وقد يحصل العلم بما عليه الأمراء، من النظر إلىٰ عمل أتباعهم، وأشياعهم، ورعاياهم، وخدمهم، وحشمهم؛ لأنّ الأثر يدلّ على مؤثّره، والمنتهىٰ يدلّ علىٰ مصدره.

وبُعد العهد بيننا وبين زمان الصدُور ربّما أخفىٰ علينا كثيراً من الأمُور، فإذا حصل الإجماع والإتّفاق إرتفع النزاع والشقاق، وكذلك إذا اشتهر أمر بين السلف وظهر، فلا وجه للإنصراف عنه إلىٰ ما شذّ وندر.

فقد علم أنّ الميزان الذي لا عيب فيه، ولا نقص يعتريه، هو الرّجُوع إلىٰ كلام الصحابة والتابعين وتابعي التابعين؛ لأنّه موضح وكاشف لحكم سيّد المرسلين.

ولمّا اختلفت الأخبار في بعض ما أوردناه وشرحناه، لزم الرجُوع إليهم، والإعتماد في تصحيح الأخبار بعد اللّه عليهم.

علىٰ أنّ الأخبار الدالّة علىٰ جواز ما منعه المانعُون أكثر مورداً، وأوفر عدداً، وأقرب إلىٰ ظاهر الكتاب والسنّة وكلام الأصحاب.

---

(١) في «ط»: وأوّلها.

وفّقنا اللّه وإيّاكم لإدراك حقائق الأُمور، والتوفيق للسعادة يوم النشور، وجعلنا من المتمسّكين بالعروة الوثقىٰ، والمتشوّقين إلىٰ دار الآخرة التي هي خير وأبقى، واللّه وليّ التوفيق، وبيده أزمّة التحقيق.

الفصل الثالث

(في بيان الميزان التي يرجع إليها إذا تشابهت الأُمور)

وهي ما عليه الصحابة والتابعون، وما أجمع عليه المسلمُون، قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلّىٰ﴾ [١] وقال: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [٢].

وعن إبن عمر، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: لا تجتمع أُمّتي ـ أو قال: أُمّة محمّد ـ علىٰ ضلال. ويد اللّه على الجماعة، ومن شذّ شذّ إلى النار. رواه الترمذي [٣].

وعن إبن عمر، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: إتّبعوا السواد الأعظم، فإنّ من شذّ شذّ إلى النار [٤].

وعن عمر، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: من سرّه بحبوحة [٥] الجنّة، فليلزم الجماعة، فإنّ الشيطان مع الفرد [٦] الواحد، وهو عن الإثنين

---

(١) النساء: ١١٥.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) سنن الترمذي ٤: ٤٠٥، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، وقال بعد نقل الحديث: قال أبو عيسىٰ: وتفسير الجماعة عند أهل العلم، هم أهل الفقه والعلم والحديث.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٤: ٢٧٨ و٣٨٣، وسنن ابن ماجة ٢: ١٣٠٣، وكنز العمّال ١٢: ١٥٦.

(٥) بحبوحة الجنّة: أوسطها وأوسعها وأرجحها.

(٦) في «ن»: مع الفذّ.

أبعد[١].

وعن أُسامة بن شريك[٢]، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: أيّما رجل يفرق بين أُمّتي فاضربوا عنقه. رواه النسّائي[٣].

وعن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: إنّ اللّه أجاركم من ثلاث خلال وعدّ منها: أن تجمعوا على الضلال[٤].

وعن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: ما اجتمعت أُمّتي على خطأ[٥].

وقال علي عليه السلام في بعض خطبه: عليكم بالسواد الأعظم، وإنّ الشاذّة للذئب[٦].

وعن عمر، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم إهتديتم[٧].

وعن رزين، عن عمر، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله قال: سألت ربّي

---

(١) سنن الترمذي ٤: ٤٠٤، برقم: ٢١٦٥.

(٢) في «ط»: شريف.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٤: ٢٦١، و٣٤١. وسنن النسّائي، كتاب التحريم ح ٦. وصحيح مسلم ٣: ١٤٧٩.

(٤) رواه أبو داود في سننه ٤: ٩٨، برقم ٤٢٥٣، باسناده عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: إنّ اللّه أجاركم من ثلاث خلال: أن لا يدعو عليكم نبيّكم فتهلكوا جميعاً، وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحقّ، وأن لا تجتمعوا على ضلالة. ورواه في كنز العمّال ١٢: ١٥٥.

(٥) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٠٣، برقم: ٣٩٥٠.

(٦) نهج البلاغة: ١٨٤، رقم الخطبة: ١٢٧، قال: وألزموا السواد الأعظم، فإنّ يد اللّه مع الجماعة، وإيّاكم والفرقة، فإنّ الشاذّ من الناس للشيطان، كما أنّ الشاذّ من الغنم للذئب.

(٧) الطرائف: ٥٢٣.

عن اختلاف أصحابي، فأوحىٰ إليّ أنّ أصحابك بمنزله النجُوم، بعضها أقوى من بعض، ولكلّ نُور، فمن أخذ بما هم عليه من اختلافهم، فهو عندي علىٰ هدىً[1].

وعن النبي صلّى اللّه عليه وآله: إنّ مثل أهل بيتي كسفينة نُوح، من ركبها نجىٰ، ومن تخلّف عنها هلك[2].

وعن أبي هريرة، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: لو سلك الناس وادياً وسلك الأنصار وادياً أو شعباً، لسلكت وادي الأنصار[3].

وعن زيد بن أرقم، قال: قام النبيّ صلّى اللّه عليه وآله خطيباً، فقال: أيّها الناس إنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأُجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّه فيه الهدىٰ، وأهل بيتي، أُذكّركم اللّه في أهل بيتي. رواه مسلم[4].

---

(١) كنز العمّال ١: ١٨١ ح ٩١٧.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٣: ١٥٠ - ١٥١، وابن المغازلي في المناقب: ١٣٢ - ١٣٤، وابن حجر في الصواعق: ٢٣٤، والخطيب في تاريخ بغداد ١٢: ٩١، وغيرهم.

(٣) صحيح مسلم ٢: ٧٣٦، برقم: ١٣٥.

(٤) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣، برقم: ٣٦ / ٢٤٠٨. رواه باسناده عن يزيد بن حيّان، قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلىٰ زيد بن أرقم، فلمّا جلسنا إليه، قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصلّيت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله. قال: يابن أخي واللّه لقد كبرت سنّي، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، فما حدّثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلّفونيه.

ثمّ قال: قام رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله يوماً فينا خطيباً بماء يدعىٰ خمّاً بين مكّة والمدينة، فحمد اللّه وأثنىٰ عليه، ووعظ وذكر، ثمّ قال: أمّا بعد ألا أيّها الناس فإنّما أنا بشر

وعن جابر، قال: رأيت النبي صلّى اللّه عليه وآله في حجّه يخطب، فسمعته يقول: يا أيّها الناس إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا بعدي: كتاب اللّه، وعترتي أهل بيتي. رواه الترمذي[١].

وقريب منه ما رواه زيد بن أرقم[٢].

وعن حذيفة، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: إقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر، وعمر[٣].

وعن جبير بن مطعم، عن النبي صلّى اللّه عليه وآله: إنّ إمرأته قالت للنبي صلّى اللّه عليه وآله: إن لم أجدك فإلى من أرجع، فقال: إئت أبابكر[٤].

وعن إبن عمر، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: وضع الحقّ على لسان عمر يقول به[٥].

يوشك أن يأتي رسول ربّي فأُجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أوّلهما كتاب اللّه فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب اللّه واستمسكوا به، فحثّ على كتاب اللّه ورغب فيه.

ثمّ قال: وأهل بيتي، أُذكّركم اللّه في أهل بيتي، أُذكّركم اللّه في أهل بيتي، أُذكّركم اللّه في أهل بيتي. فقال له حُصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عبّاس، قال: كلّ هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم.

(١) سنن الترمذي ٥: ٦٢١، برقم: ٣٧٨٦، باب مناقب أهل بيت النبيّ صلّى اللّه عليه وآله.

(٢) سنن الدرامي ٢: ٤٣١. وسنن الترمذي ٥: ٦٢٢، برقم: ٣٧٨٨.

(٣) سنن الترمذي ٥: ٥٦٩، برقم: ٣٦٦٢، وكنز العمّال ١١: ٥٦٠.

(٤) سنن الترمذي ٥: ٥٧٤ - ٥٧٥، برقم: ٣٦٧٦، وقال الترمذي بعد نقل الحديث: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

(٥) سنن الترمذي ٥: ٥٧٦ - ٥٧٧، برقم: ٣٦٨٢. وقال بعد نقل الحديث: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وعن أبي داود، عن أبي ذرّ، قال: إنّ الحقّ وضع على لسان عمر يقول به[١].

وعن عقبة بن عامر، عن النبي صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: لو كان بعدي نبيّ لكان عمر[٢].

وعن سعد بن أبي وقّاص أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه وآله قال لعلي عليه السلام: أنت منّي بمنزلة هارُون من مُوسى[٣].

وعن عبد اللّه بن عمر، عن النبي صلّى اللّه عليه وآله أنه قال: ما أظلّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء، من ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ. رواه الترمذي[٤].

وعن النبي صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: اللهمّ أدر الحقّ مع علي حيث ما دار. رواه الترمذي[٥].

وعن عمّار، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله قال له: إذا سلك عليّ طريقاً وسلك الناس غيره، فاسلك طريق عليّ[٦].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٥٧٨، برقم: ٣٦٨٦. وقال بعد نقل الحديث: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الاّ من حديث مشرح بن هاعان. أقول: وأورد المؤلّف قدّس سرّه هذه الاحاديث شاهداً على المطلب من أحاديثهم لا اعتقاداً، وراجع حول هذه الأحاديث إلى المجلد السابع والثامن من كتاب الغدير للعلاّمة الأميني قدّس سرّه.

(٣) سنن الترمذي ٥: ٥٩٩، برقم: ٣٧٣١.

(٤) سنن الترمذي ٥: ٦٢٨، برقم: ٣٨٠١ - ٣٨٠٢.

(٥) سنن الترمذي ٥: ٥٩١ - ٥٩٢، برقم: ٣٧١٤.

(٦) فرائد السمطين ١: ١٧٨، برقم: ١٤١، وفيه: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله لعمّار: إنّه سيكون في اُمّتي بعدي هنات، حتّى يختلف السيف فيما بينهم، وحتّى يقتل بعضهم بعضاً، وحتّى يبرأ بعضهم من بعض، فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني - يعني: علي بن

وعن إبن مسعُود، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: إنّ أصحابي كانوا أفضل[١] هذه الأمّة، وأبرّها قلوباً، وأعمقها علماً، إلىٰ أن قال: فاعرفوا لهم الفضل، واتّبعُوهم علىٰ آثارهم، وتمسّكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرتهم، فإنّهم كانوا علىٰ هدىً مستقيم. رواه رزين[٢].

وعن عرباض بن سارية، قال: صلّىٰ بنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله ووعظ، قال: إنّه من يعيش منكم بعدي فسيرىٰ إختلافاً كثيراً، عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين، تمسّكوا بها، وعضّوا عليها بالنواجد، وإيّاكم ومحدّثات الأمُور، فإنّ كلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة. رواه أحمد وغيره[٣].

وعن أبي هريرة، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهليّة[٤].

وعن الحارث الأشعري، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: من خرج عن الجماعة بقدر شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه[٥].

وعن ابن عبّاس، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: إنّ من فارق الجماعة

أبي طالب ـ فإن سلك الناس كلّهم وادياً وسلك عليّ وادياً، فاسلك وادي علي بن أبي طالب عليه السلام وخلّ عن الناس. يا عمّار انّ عليّاً لا يردّك عن هدى، ولا يدلك على ردىٰ، يا عمّار طاعة علي طاعتي، وطاعتي طاعة اللّه عزّ وجلّ.

(١) كذا في «ط»، وفي «ن»: قال: من كان مستنّاً فليستنّ بمن قد مات، أولئك أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه وآله كانوا أفضل الى آخرة.

(٢) راجع صحيح مسلم ٤: ١٩٦٢.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٤: ١٢٦ – ١٢٧.

(٤) كنزل العمّال ١: ١٠٣، برقم: ٤٦٣ و ٤٦٤.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣٣٢.

بشبر مات ميتة جاهليّة[١].

وعن عبد اللّه بن عمر، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: إنّ أُمّتي تفترق على ثلاث وسبعين فرقة، وليس فيها ناج سوىٰ واحدة، فسئل عنها، فقال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي[٢].

إلى غير ذلك من الأخبار.

ومقتضى ذلك أنّه من اللازم الرّجُوع إلىٰ سيرة الصحابة وطريقتهم، وانّها الميزان إذا اشتكلت علينا الأُمور[٣]، وسيتّضح أنّ جميع ما ينكر من هذه الأفعال المُوردة صادرة عن الصحابة، وطريقتهم مستمرّة عليه، مع أنّ في السنّة ما يدلّ علىٰ جوازه.

وما ورد عنه صلّى اللّه عليه وآله إنّ الإسلام بدأ غريباً وسيعُود غريباً[٤]. فلا ينافي ما ذكرناه؛ لأنّ فرقة الإسلام بين طوائف الكفر كنقطة في بحر.

ورویٰ أبو سعيد الخُدري عن النبي صلّى اللّه عليه وآله: ما أنتم في الناس إلاّ كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود[٥]. وعوده غريباً في أيّام الدجّال ونحوه يكفي في صدق الخبر.

ورویٰ عبد اللّه بن مسعُود عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: لاٰ

---

(١) صحيح مسلم ٤: ١٤٧٧، برقم: ٥٥ / ١٨٤٩.

(٢) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٢٢، وسنن أبي داود ٤: ١٩٨، وكنز العمّال ١: ٣٨٠.

(٣) في «ط»: الأدلّة.

(٤) صحيح مسلم ١: ١٣٠ - ١٣١ برقم: ٢٣٢ / ١٤٥ و١٤٦.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣٣.

تقوم الساعة إلاّ علىٰ شرار الخلق. رواه مسلم[١].

وعن أبي سعيد الخدري عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: لاٰ تقوم الساعة حتّى لاٰ يقال في الأرض اللّه.

وكلّ ما صدر في زمن الصحابة من الأعراب وكان بمحضر منهم ولم ينكروه، فهو موافق لرضاهم، وإلاّ لأنكروه، ولهذا أوردنا في هذه الرّسالة كثيراً ممّا صدر في زمانهم من[٢] غيرهم.

وعلىٰ كلّ حال، فلا كلام في أنّ الأدلّة فيها عامّ، وفيها خاصّ، وفيها ناسخ، وفيها منسُوخ، وفيها مجمل، وفيها مبيّن، وفيها مطلق، وفيها مقيّد، ومنها قطعيّ الصدُور ظنّي الدلالة، ومنها قطعيّ الدلالة ظنّي الصدور، ومنها ظنيّهما، ومنها قطعيّهما. ومن جهة إختلاف السند: منها صحيح، ومنها ضعيف، ومنها حسن، وموثّق، وقويّ إلىٰ غير ذلك.

فإذا تعارضت الأدلّة، فلابدّ من النظر إلى المرجّحات: من جهة السند، أو من جهة الدلالة، أو من جهة السبك في العبارة[٣]، أو من جهة كثرة الرواية، أو من جهة شهرة الفتوىٰ، أو من جهة موافقة الأُصول ومخالفتها، أو من جهة موافقة العمومات ومخالفتها، أو من جهة موافقة الكتاب وعدمها، إلىٰ غير ذلك.

وإذا فقد المرجّحات وقامت الحيرة، فلا يبقىٰ مداراً إلاّ علىٰ خيرة الصحابة[٤] وطريقتهم، والنظر إلىٰ ما هم عليه صاغراً عن كابر، أوّلاً

---

(١) صحيح مسلم ٤: ٢٢٦٨، برقم: ٢٩٤٩ / ١٣١، باب قرب الساعة.

(٢) في «ط»: ومن.

(٣) في «ن»: سبك العبارة.

(٤) في «ن»: إلاّ سيرة الأصحاب.

وآخرا[١] وما نحن عليه اليوم من طريقة القوم أكثر الرّوايات موصُلة إليه، وطريقة الأصحاب والصحابة مستمرّة عليه، وقد ذكرت منها قليلاً من كثير ليعلم حال السلف، وليرتفع الإنكار علىٰ خلفهم.

فيا أخي وحقّ من رفع السماء، وبسط الأرض على الماء، إني لمّا أجبتك[٢] لمكارم أخلاقك، وحسن سيرتك مع الناس، وإرفاقك بهم، خشيت عليك من حمل راية القدح[٣] في المشايخ الكبار، والعلماء الأبرار، الذين هم للشارع نوّاب، ولأبواب الشرع بوّاب، عصمنا اللّه وايّاكم، وكفانا شرّ الجهل وكفاكم، واللّه الموفّق.

وأمّا المقاصد فثمانية:

الأوّل

(في تحقيق ضروب الكفر)

وأقسامه كثيرة:

أوّلها: كفر الإنكار بإنكار وجُود الآلهة، أو إثباة أنّ غير اللّه هو اللّه، أو بإنكار المعاد، أو بنبوّة نبيّنا أشرف العباد.

ثانيها: كفر الشرك بإثبات الشريك للواحد القهّار، أو في نبوّة النبيّ المختار.

ثالثها: كفر الشكّ بالشكّ في إحدى الثلاثة التي هي اُصول الإسلام في غير محلّ النظر، ولا عبرة بالأوهام التي هي كخيالات المنام.

---

(١) في «ن»: وما عليه الأوّل والآخر.

(٢) في «ن»: أحببتك.

(٣) في «ن»: من سراية القدح.

رابعها: كفر الهتك بهتك حرمة الدين، بالبول على المصحف، أو في الكعبة، أو سبّ خاتم النبيين صلّى اللّه عليه وآله.

خامسها: كفر الجحُود، بأن يجحد باللسان أُصول الإسلام، ويعتقدها بالجنان، قال تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾[1].

سادسها: كفر النفاق، بأن ينكر في الجنان، ويقرّ في اللسان، كما قال تعالىٰ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[2].

سابعها: كفر العناد، بأن يقرّ بلسانه، ويعتقد بجنانه، ولم يدخل نفسه في ربقة العبوديّة، بل يجتر[3] على الحضرة القدسيّة، كإبليس.

ثامنها: كفر النعمة، بأن يستحقر نعمة اللّه، ويرىٰ نفسه كأنّه ليس داخلاً تحت نعمة[4] اللّه.

تاسعها: كفر الإنكار للضروري[5].

عاشرها: إسناد الخلق إلىٰ غير اللّه علىٰ قصد الحقيقة، وليست جميع المعاصي العظام مخرجة عن الإسلام؛ لأنّ[6] المعاصي لا تنفكّ على الدوام، حتّىٰ في مبدء حدوث الإسلام، ولذلك وضعت الحدود والتعزيرات، واُقيمت الأحكام علىٰ ممرّ الأوقات.

نعم قد يطلق علىٰ كثير منها إسم الكفر، تعظيماً للذنب، وتحذيراً

---

(١) النمل: ١٤.

(٢) البقرة: ٨.

(٣) في «ط»: تجرّىٰ.

(٤) في «ن»: منّة.

(٥) في «ن»: إنكار الضروريّ.

(٦) في «ن»: فإنّ.

منه، وتشبيهاً لمؤاخذته، لعظمها بمؤاخذة الكفر، فإذن هو[١] في الشرع قسمان: كفر صغير، لا يخرج عن إسم الإسلام. وكبير مخرج عن إسمه بلا كلام.

ولو بنينا على أنّ كلّ ما أُطلق عليه إسم الكفر مكفّراً، لم ينج إلاّ شرذمة قليلة من الورىٰ، فإطلاق إسم الكفر قد يكونُ إستعظاماً للذنب كما مرّ، وقد يراد أنّه ربّما انجرّ بالأخرة إلىٰ ذلك.

كما ورد في الحديث: إنّ في قلب المؤمن نكتة بيضاء، فإذا عصى اللّه إسودّ منها جانب، وهكذا إلىٰ أن يتمّ سوادها، فذلك الذي طبع اللّه علىٰ قلبه[٢].

وممّا يدلّ علىٰ أنّ لفظ الكفر علىٰ سائر المعاصي كثير[٣] في كلام الشارع.

منها: ما رواه أنس، عن النبي صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: لا دين لمن لا تقيّة له[٤].

وعن أبي هريرة، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يقتل حين يقتل وهو مؤمن[٥].

---

(١) في «ن»: فهو إذن.

(٢) اصول الكافي ٢: ٢٧١ - ٢٧٣.

(٣) في «ن»: كثيراً.

(٤) كنز العمّال ٣: ٩٦، برقم ٥٦٦٥.

(٥) صحيح مسلم ١: ٧٦ - ٧٧، باب بيان نقصان الايمان بالمعاصي، وسنن ابن ماجة ٢: ١٢٩٨ - ١٢٩٩.

وعن أبي هريرة، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: إنّ علامة النفاق الكذب، وسُوء الخلق، والخيانة[١].

وعن عبد اللّه بن عمرو، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: إنّ النفاق عبارة عن أربع: الخيانة، والكذب، والغدر، والفجُور[٢].

وعن أبي هريرة، عن النبي صلّى اللّه عليه وآله: إنّ المرآء في القرآن كفر[٣].

وعن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنه قال: لا يفوّت[٤] حضُور الجماعة إلاّ منافق[٥].

وعن أبي ذرّ، عن النبي صلّى اللّه عليه وآله: المسلم من سلم المسلمُون من يده ولسانه[٦].

وعن عبد اللّه بن مسعود، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: إنّ الرقىٰ والتمائم من الشرك[٧].

وعن أبي هريرة، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: من قال: مطرنا بكوكب كذا، فهو كافر[٨].

---

(١) صحيح مسلم ١: ٧٨، برقم: ١٠٧، وسنن الترمذي ٥: ٢٠، برقم: ٢٦٣١.

(٢) صحيح مسلم ١: ٧٨، برقم: ١٠٦. وسنن الترمذي ٥: ٢٠، برقم: ٢٦٣٢.

(٣) كنز العمّال ١: ٦١٦، برقم: ٢٨٣٨، وفيه أيضاً: الجدال في القرآن كفر، برقم: ٢٨٣٧.

(٤) في «ن»: لا يترك.

(٥) راجع صحيح مسلم ١: ٤٥١.

(٦) سنن البيهقي ١٠: ١٨٧، قال: ورواه مسلم والبخاري في صحيحهما.

(٧) مستدرك الحاكم ٤: ٢١٧.

(٨) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٤٢٩، وصحيح مسلم ١: ٨٤، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء.

وعن زيد بن خالد، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه من قال: مطرنا بنوء كذا، فهو كافر[١].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: من أتىٰ حائضاً أو امرأته في دبرها، فقد كفر بما أنزل اللّه. رواه الدار قطني، وابن ماجة، والترمذي[٢].

وروى عمر بن لبيد، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: الرّياء الشرك الأصغر[٣].

وعن أبي سعيد، عن النبي صلّى اللّه عليه وآله: إنّ الرياء الشرك الخفيّ[٤].

وعن عمر بن الخطّاب، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: إنّ يسير الرياء شرك[٥].

وعن شدّاد بن أُوس، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: من صلّىٰ وهو يرائي، فقد أشرك، ومن صام وهو يرائي، فقد أشرك، ومن تصدّق وهو يرائي، فقد أشرك[٦].

---

(١) صحيح مسلم ١: ٨٤ ومسند أحمد بن حنبل ٤: ١١٧.

(٢) سنن ابن ماجة ١: ٢٠٩، برقم: ٦٣٩، وسنن الترمذي ١: ٢٤٣.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٤٢٨ - ٤٢٩.

(٤) سنن ابن ماجة ٢: ١٤٠٦، برقم ٤٢٠٤، رواه باسناده عن أبي سعيد الخدري قال: خرج علينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله ونحن نتذاكر المسيح الدجّال، فقال: ألاٰ أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجّال؟ قال: قلنا بلىٰ، فقال: الشرك الخفيّ أن يقوم الرجل يصلّي فيزيّن صلاته لما يرى من نظر رجل.

(٥) كنز العمّال ٣: ١٥٦، برقم: ٥٩٧٤ و٤٧٢ برقم: ٧٤٧٩.

(٦) كنز العمّال ٣: ٤٨٢ برقم: ٧٥٢٨.

وروي: أنّ تارك الصلاة كافر[١]. إلىٰ غير ذلك.

بل قلّ ما يسلم[٢] شيء من المعاصي من إطلاق إسم الكفر، فلا تبقىٰ ثمّة حدُود ولاٰ تعزيرات[٣]، ولزم الحكم بالإرتداد[٤]، وكفر العباد، ولاٰ ينجو من الكفر إلاّ قليلاً من الأحياء والأموات، ولنادت الخطباء بذلك علىٰ رؤوس الأشهاد، ولشاع ذلك في أقاصي[٥] البلاد، مع أنّ المعهُود من سيرة النبيّ صلّى اللّه عليه وآله والصحابه والتابعين وتابعي التابعين معاملة الناس على الإكتفاء باظهار الشهادتين.

وعنه صلّى اللّه عليه وآله: أُمرت أن أُقاتل الناس حتّىٰ يقولوا الشهادتين[٦].

وعن أبي هريرة أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أُتي بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحنّاء، فقال: ما بال هذا؟ قالوا: يتشبّه بالنساء، فنفاه إلى البقيع، فقيل: يا رسول اللّه ألاٰ تقتله؟ فقال: نهيت عن قتل المصلّين[٧].

---

(١) رواه ابن ماجة في سننه ١: ٣٤٢، عن جابر بن عبد اللّه، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة. وعن بريدة عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله قال: العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر.

(٢) في «ط» سلم.

(٣) في «ط»: ثمرة للحدود ولا التعزيرات.

(٤) في هامش «ن» بزيادة: بفعل أكثر التبعات.

(٥) في «ط»: أقصى.

(٦) صحيح مسلم ١: ٥٢ - ٥٣، باب الأمر بقتال الناس حتّى يقولوا لا إله الاّ اللّه محمّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله.

(٧) كنز العمّال ٤: ٣٩٠، برقم: ١١٠٦٢.

روىٰ عبد اللّه بن مسعود، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: انّ قتال المسلمين كفر[١].

وعن إبن عمر، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: انّ نسبة المسلم إلى الكفر كفر[٢].

وعن أبي هريرة، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: إن قال الرّجل هلك الناس فهو أهلكهم[٣].

وعن ابن عمر قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: أُمرت أن أُقاتل الناس حتّىٰ يشهدوا أن لا إله إلاّ اللّه وأنّ محمّداً رسول اللّه، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا منّي دماءهم وأموالهم، وحسابهم على اللّه[٤].

وعن أنس أنّه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: من صلّىٰ صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمّة اللّه وذمّة رسوله[٥].

إلى غير ذلك من الأخبار.

وليس غرضي أنّه لا طريق للكفر بعد[٦] ذلك، ولكن يستفاد منها أنّه

---

(١) صحيح مسلم ١: ٨١، باب بيان قول النبيّ صلّى اللّه عليه وآله سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.

(٢) صحيح مسلم ١: ٧٩، باب بيان حال ايمان من قال لأخيه المسلم يا كافر.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٢٧٢ و٣٤٢ و٤٦٥ و٥١٧.

(٤) صحيح مسلم ١: ٥٣، برقم: ٣٦ / ٢٢.

(٥) كنز العمّال ١: ٩٢، برقم: ٣٩٨.

(٦) في «ن»: سوىٰ

بعد إظهار الشهادتين يبنىٰ على الإسلام ما لم يعلم شيئاً ينافيه، ولا حاجة إلى التجسّس، بل نهى اللّه تعالىٰ عنه.

وبيان الأمر على التحقيق: هو أنّه قد علم أنّ لسان الشارع جارٍ علىٰ نحو لسان العرب، ففيه حقائق، ومجازات، وإستعارات، وكنايات، وخطابات، تشتمل على المبالغات، كما أنّ لساننا يشتمل علىٰ ذلك من غير إنكار، فإنّ الذنب إذا صدر عن شخص وأردنا إستعظامه، صحّ لنا أن نسمّيه كفراً، وأن نسمّي فاعله كافراً.

ولا يزال ذلك يقع علىٰ مرُور الأزمان من أيّام النبيّ صلّى اللّه عليه وآله إلىٰ هذا الآن، مع أنّه ليس في ذلك إنكار، بل قد يعدّ من أفعال الأبرار.

علىٰ أنّ كلّ من صدر منه ذنب ولو صغير، لم يفِ بجزاء نِعَم اللطيف الخبير، فإطلاق الكفر لعلّه من باب الكفر ببعض النِعم الذي هو كفر صغير.

على أنّ إلتفات[1] الأنبياء والأولياء ليس إلى المعاصي، بل إلىٰ من عصوا[2]، فإذا لاحظت أنّ المعصية كانت في حقّ اللّه، تجدها -ولو صغرت- أكبر من الجبال الرواسي، حتّىٰ أنّه بلسان الورع والتقوىٰ دون الفقه والفتوىٰ، ربّما لا يفرق بين الصغائر والكبائر.

بل ربّما نقل عن بعض الأولياء أنّه لا فرق بين المكروه والحرام، وبين

---

(١) في «ن»: أنظار.

(٢) في «ن»: شخط على جملة «بل الى من عصوا» وكتب مكانها في الهامش: حتى يكون فيها صغير وكبير، بل الى من عصاه الناس، وهو اللطيف الخبير.

المسنونات وفرائض الأحكام، قال: لأنّ الكلّ مطلوب للملك العلاّم.

وإذا بني علىٰ هذا أُستحسن هذا الاطلاق، وحسن إطلاق إسم المعاصي والمحرّمات علىٰ فعل المكروهات والفرائض والواجبات علىٰ فعل المستحبّات والمندوبات، وكبائر الخطيئات علىٰ صغائر التبعات، والكفر والكفّار علىٰ كلّ من عمل ما يوجب دخول النار.

ولولاٰ ذلك للزم كفر من في الأرض؛ لأنّه قلّ من خلت معصيته من هذا الغرض، ولو عملنا بجميع ظواهر الأخبار، لاختلّت علينا أحكام ملّة النبيّ المختار، وفّقنا اللّه وإيّاكم وهداك إلى الحقّ المبين.

المقصد الثاني

(في تحقيق معنى العبادة)

لاٰ ريب أنّه لاٰ يراد بالعبادة التي لاٰ تكُون إلاّ للّه، ومن أتىٰ بها لغير اللّه، فقد كفر مطلق الخضُوع والخشُوع والإنقياد، كما يظهر من كلام أهل اللغة، وإلاّ لزم كفر العبيد والأُجراء وجميع الخدّام للأُمراء، بل كفر الأبناء في خضوعهم للآباء، وجميع من تواضع للإخوان، أو لأحد من أصحاب الإحسان.

وإنّما الباعث على الكفر؛ لانقياد البعض لبعض[١] العباد مع إعتقاد إستحقاقهم ذلك بالإستقلال من دُون توجّه الأمر من الكريم المتعال،وأنّ لهم تدبيراً واختياراً.

ولفظ العبد والعبادة قد يطلق علىٰ مطلق المطيع والطاعة، فقد ورد: إنّ العاصي عبد الشيطان. وإنّه عبد الهوىٰ. وإنّ الإنسان عبد الشهوات.

---

(١) في «ن»: أنّ الانقياد لبعض.

وإنّ من أصغىٰ إلىٰ ناطق فقد عبده.

ثمّ من اتّبع قول القائل بأنّه[1] مخبر عن غيره، فهو عابد للمخبر عنه، لا للمخبر. ومن خدم شخصاً بأمر آمر، فالمعبُود هو الآمر، ومن تبرّك بشيء لأمره، كان ذلك من عبادة الآمر.

فالملائكة في سجُودهم لآدم، ويعقُوب في سجُوده ليوسف، والناس في تقبيلهم للحجر الأسود والأركان، لم يعبدوا سوىٰ من أمرهم بذلك.

ثمّ السجودُ والخضُوع لعروض بعض الأسباب، لا ينافي الإخلاص لربّ الأرباب.

روىٰ أبو داود والترمذي، عن عكرمة، قال: قيل لابن عباس: ماتت فلانة بعض أزواج النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، فخرّ ساجداً، فقيل له: تسجد في هذه الساعة؟ فقال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: إذا رأيتم آية فاسجدوا، وأيّ آية أعظم من ذهاب أزواج النبيّ صلّى اللّه عليه وآله[2].

فعلىٰ هذا لو سجد من رأىٰ ميّتاً، أو رأىٰ شيئاً عجيباً، ذاكراً لعظمة اللّه ـ كما يصنعه بعض العارفين ـ لم يكن به بأس.

وعبادة الأصنام وبعض الصالحين، مع نهي الأنبياء والمرسلين الذين دلّت علىٰ صدقهم المعجزات[3] والبراهين، محض عناد وخلاف علىٰ

---

(١) في «ن»: لأنّه.

(٢) سنن أبي داود ١: ٣١١، برقم: ١١٩٧. وسنن الترمذي ٥: ٦٦٥، برقم: ٣٨٩١.

(٣) في «ن»: المعاجز.

ربّ العباد، ولو أنّهم أخذوا عن قول اللّه ورسوله، لم يكن عليهم إيراد.

كما أنّ السيّد لو قال لعبده: تبرّك بثياب فلان ونعله وترابه، ففعل، كان عابداً للمولىٰ. وأمّا لو نهاه المولىٰ، أو أخذ بمجرّد الظنّ الذي لاٰ يغني عن الحقّ شيئاً، أو الخرص، لكان عاصياً مخالفاً.

ألاٰ ترىٰ أنّ من جعل المرضعات أُمّهات، ليس كمن جعل المصاهرات، ومن حرّم الوصيلة والسائبة والحامّ، ليس كمن حرّم الجلالة من الأنعام.

وليس تحريم أشهر الحرم[1] كتحريم غيرها من باقي أشهر العامّ[2]، وليس صيام آخر شهر رمضان كصيام أوّل شوّال، كلّ ذلك للفرق بين الأمر والإتّباع، والقول بمجرّد الإختراع والإبتداع.

ثمّ العبادة تختلف[3] باختلاف النيّات، فمن قصد حقيقة العبادة إختراعاً وابتداعاً، ومخالفة لأمر اللّه، كان كافراً، سواء قصد القرب إلى اللّه زلفىٰ أو لاٰ، بل هذا في الحقيقة عين العناد والشقاق بعد نهي الأنبياء والرّسل.

كما قال قوم شعيب له: ﴿يٰا شُعَيْبُ أَصَلوٰتُكَ تَأْمُرُكَ اَنْ نَتْرُكَ مٰا يَعْبُدُ آباؤُنٰا اَوْ اَنْ نَفْعَلَ فِي اَمْوٰالِنٰا مٰا نَشٰاءُ﴾[4].

وقال الصدّيق: ﴿يٰا صٰاحِبَيِ السِّجْنِ ءَأَرْبٰابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أم اللّه الواحد

---

(١) في «ن»: الحرام.

(٢) في «ط»: الحرام.

(٣) في «ط»: مختلفة.

(٤) هود: ٨٧.

القهّار * ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إلاّ أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ﴾ [١].

وحكى اللّه عن قوم نُوح وعادٍ وثمُودٍ أنّهم ردّوا أيديهم في أفواههم، وقالوا: ﴿إنّا كَفَرْنا بِما اُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإنّا لَفي شَكٍّ مِمّا تَدْعُونَنا إلَيْهِ مُريبٍ﴾ [٢] إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالّة علىٰ ردّهم الأنبياء، وبنائهم على الإختراع والإبتداع.

وفي الإحتجاج: في حديث طويل عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه أقبل علىٰ مشركي العرب، فقال لهم: وأنتم فلم عبدتم الأصنام من دُون اللّه؟ فقالوا: نتقرّب بها إلى اللّه زلفىٰ، فقال: أو هي سامعة مطيعة عابدة لربّها حتّىٰ تتقرّبوا بها إلى اللّه زلفىٰ؟ قالوا: لا، قال: أما أنتم نحتونها [٣] بأيديكم؟ قالوا: نعم، قال: فلئن تعبّدكم هي أحرىٰ من أن تعبدُوها، إذاً لم يكن أمركم بتعظيمها من هو العالم [٤] بمصالحكم وعواقبكم، والحكيم فيما يكلّفكم [٥].

فإذا كان اللّه قد نهىٰ علىٰ لسان أنبيائه عن عبادة الأصنام والصالحين من الأنام، علىٰ نحو عبادة الصلاة والصيام، ففعلهم بعد ذلك ردّ لكلام العليم العلّام.

كشف الحقيقة:

إنّ العبادة: إن اُريد بها مجرّد الإمتثال والطاعة، كانت الزوجة والأمة

---

(١) يوسف: ٣٩ - ٤٠.

(٢) إبراهيم: ٩.

(٣) في «ط»: تنحتونها.

(٤) في الاحتجاج: العارف.

(٥) الاحتجاج ١: ٢٢ ط النجف.

والعبد والخادم والأجير[١] ونحوهم، عابدين لغير اللّه.

وإن أُريد الإمتثال والإنقياد للعظيم في ذاته، المستوجب للطاعة، لا بواسطة أمر غيره، فإنّ[٢] ذلك من أفعال المسلمين.

فأُقسم عليك بمن سلّطك علىٰ طائفة من عباده، ومكّنك من كثير من بلاده، أن تخلّي نفسك من حبّ الإنفراد، الباعث على الإمتياز بين العباد، وتحذّر من قولهم: لكلّ جديد لذّة، وخالف تعرف، كما أنّي أُحذّر نفسي وأصحابي من حبّ إتّباع الآباء والأجداد، ولكلّ جديد لذّة، وإرادة الدخول في الجماعة وكراهة الإنفراد.

وأمّا ما صدر من أهل الإسلام، فإنّما هو عن أمر زعمُوه، فإن كان حقّا إتّبعُوه[٣]، أو كان خطأً فكذلك.

فأين حال المسلمين من حال من جعل الآلهة ثلاثة، أو اثنين، واتّخذ الملائكة أربابا دُون اللّه، وبعض المخلوقين أنداداً وشركاء، يعبدُون من دُون اللّه أو مع اللّه، إمّا: لاهليّتهم، أو لترتّب التقرّب إلى اللّه زلفىٰ من دون أمر اللّه لهم بذلك، قال تعالىٰ: ﴿ما أَنْزَلَ اللّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ﴾[٤]

وروي: إنّ قريشاً كانوا يعبدُون الأصنام، ويقولون: ليقرّبونا إلى اللّه، ولا طاقة لنا علىٰ عبادة اللّه[٥]. وسيجيء في بعض المقامات الآتية ممّا يكشف عن حقيقة ذلك.

---

(١) في «ط»: الأُجراء.

(٢) في «ن»: فأين.

(٣) في «ن»: أُثيبوا.

(٤) يوسف: ٤٠.

(٥) راجع جامع البيان للطبري ١٢: ١٣٠، والتفسير الكبير للرازي ١٨: ١٤١.

وإن أردت تمام الكلام في هذا المقام، فانظر بعين البصيرة إلىٰ ما نحاول في هذا المقام تحريره.

إعلم أنّ الالفاظ اللغويّة والعرفيّة العامّة، قد تبقىٰ علىٰ حالها من المعاني القديمة، فتلك لاٰ تحتاج إلىٰ بيان، سواء وردت في السنّة والقرآن أم لاٰ.

وأمّا إذا نقلت عن المعاني الأوّلية إلىٰ غيرها، أو استعملت في المعاني الثانويّة[1] علىٰ وجه المجازيّة، فهي من المجمل المحتاج إلى البيان، كلفظ الصلاة والصيام والحجّ، فإنّه لو لم يبيّنها الشرع لبقيت علىٰ إجمالها، حيث لاٰ يراد منها مطلق الدعاء والإمساك والقصد، بل معنىٰ جديد تتوقّف معرفته علىٰ بيان وتحديد.

ومن هذا القبيل ما نحن فيه من لفظ العبادة والدعاء ونحوهما، فإنّه لاٰ يراد بهما في لحُوق الشرك بهما المعنى القديم، وإلاّ لزم كفر الناس من يوم آدم إلىٰ يومنا هذا؛ لأنّ العبادة بمعنى الطاعة، والدعاء بمعنى النداء والإستغاثة للمخلوق لا يخلو منها أحد.

ومن أطوع من العبد لسيّده، والزوجة لزوجها، والرعيّة لملوكهم[2]، ولاٰ زالوا ينادونهم، ويطلبُون إعانتهم ومساعدتهم، بل الرؤساء لم يزالوا يستغيثون بجنودهم وأتباعهم ويندبونهم.

فعلم أنّه لاٰ يراد بهذه المذكُورات المعاني السابقات، وتعيّن إرادة المعاني الجديدة، فصارت بذلك من المجملات والمتشابهات، فلا

---

(١) في «ط»: القانونيّة.

(٢) في «ن»: لملوكها.

يجُوز الحكم بمقتضاها، إلاّ في الموضع المعلوم دُون المشكُوك والموهوم.

وإنّما هو خطاب الوضيع لمن شأنه رفيع، علىٰ أن يكُون مالك التصرّف، أو خدمته الخاصّة لرفعته الذاتيّة، وشرافته الأصليّة، من دُون أمر آمر، ولاٰ تكليف مكلّف، بل من مجرّد الإبتداع والإختراع.

وأمّا ما كان عن أمر آمر، فالمعبُود هو الآمر، ولاٰ فرق بين أن يقول: ضع جبهتك في الصلاة على الأرض، أو علىٰ بدن إنسان، أو غير ذلك، وبين أن يقول: ضعها علىٰ قبر كذا، أو حجر كذا.

وإنّما كفر عبدة الأصنام؛ لأنهم فعلوا ما يعدّ عبادة من دُون أمر اللّه، ولأنهم خالفوا أنبياء اللّه في نهيهم عن تلك الأشياء، فكان[1] قصد تقرّبهم فيما نهى اللّه عنه: إمّا بناءً علىٰ أنّ الأصنام للجبّار قاهرُون، فيقرّبونهم قهراً، أو كان إستهزاءً بالرسل، أو تكذيباً لهم، وكلّ من الكفرين أعظم من الآخر؛ فانّ المتقرّبين محصّل كلامهم أنّا نخالف أمر اللّه وأمر رسله[2]، ونعبد ما نهانا عن عبادته ليقرّبنا إلى اللّه.

المقصد الثالث

(في الذبح لغير اللّه)

لاٰ يشكّ أحد من المسلمين في أنّ من ذبح لغير اللّه ذبح العبادة ـ كما يذبح أهل الأصنام لأصنامهم حتّىٰ يذكروا على الذبايح أسماءهم، ويهلّون بها لغير اللّه ـ خارج عن ربقة المسلمين، سواء اعتقدوا آلهيّتهم،

---

(١) في «ن»: فكانت.

(٢) في «ن»: رسوله.

أو قصدوا أن يقرّبوهم زلفىٰ؛ لأنّ ذلك من عبادة غير اللّه.

وأمّا من ذبح عن الأنبياء والأوصياء والمؤمنين ليصل الثواب إليهم، كما نقرأ القرآن ونهدي إليهم، ونصلّي لهم وندعو لهم، ونفعل جميع الخيرات عنهم، ففي ذلك أجر عظيم، وليس قصد أحد من الذابحين للأنبياء أو لغير اللّه سوىٰ ذلك.

أمّا العارفون منهم، فلا كلام. وأمّا الجهّال، فهم علىٰ نحو عرفائهم.

وقد روي عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه ذبح بيده، وقال: اللهمّ هذا عنّي وعن من لم يضحّ من أُمّتي. رواه أحمد وأبو داود والترمذي[1].

وفي سنن أبي داود أنّ عليّاً عليه السلام كان يضحّي عن النبي صلّى اللّه عليه وآله بكبش، وكان يقول: أوصاني أن أُضحّي عنه دائماً[2].

وعن علي عليه السلام أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أوصاني أن أُضحّي عنه[3].

وعن بريدة، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّ إمرأة سألته هل تصُوم عن أُمّها بعد موتها؟ وهل تحجّ عنها؟ قال: نعم[4].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٨ و٣٥٦ و٣٦٢. وسنن أبي داود ٣: ٩٩، برقم: ٢٨١٠. وسنن الترمذي ٤: ٧٧ برقم: ١٥٠٥.

(٢) سنن أبي داود ٣: ٩٤ برقم: ٢٧٩٠، ومسند أحمد بن حنبل ١: ١٠٧.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٥٠.

(٤) رواه مسلم في صحيحه ٢: ٨٠٥ برقم: ١٥٧ / ١١٤٩، باسناده عن بريدة قال: بينا أنا جالس عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله إذ أتته امرأة، الى أن قال: قالت: يا رسول اللّه انّه كان على أُمّي صوم شهر أفأصوم عنها؟ قال: صومي عنها، قالت: إنّها لم تحجّ قطّ أفأحجّ عنها؟ قال: حجّي عنها.

وعن ابن عبّاس أنّه قال: تفي البنت نذر أُمّها[١].

وروي أنّ العاص بن وائل أوصىٰ بالعتق فسأل إبنه عمرو النبيّ صلّى اللّه عليه وآله عن العتق له، فأمره به[٢].

وروي عن عائشة أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه وآله قال عند الذبح: اللّهمّ تقبّل من محمّد وآل محمّد وأُمّته[٣].

والحاصل لا كلام ولا بحث في أنّ أفعال الخير تهدىٰ إلىٰ الموتىٰ، ومن أولىٰ بالهدايا من أنبياء اللّه وأوصيائه، فليس الذبح لهم وبإسمهم، حتّىٰ يكُون الإهلال بذكرهم[٤]، وإنّما ذلك عمل يهدىٰ إليهم ثوابه كسائر الأعمال، حتّىٰ أنّه لو ذكر إسمهم على الذبيحة، كان ذلك عند المسلمين منكراً، فهو ذبح عنهم لا لهم.

وإنّي والذي نفسي بيده منذ عرفت نفسي إلىٰ يومي هذا، ما رأيت ولا سمعت أحداً من المسملين ذبح أو نحر، ذاكراً لاسم نبيّ، أو وصيّ، أو عبد صالح، وإنّما يقصدون إهداء الثواب إليهم، فإن كان في أطرافكم قبل تسلّطكم مثل ذلك، فصاحب الدار أدرىٰ بالذي فيها.

ولا شكّ أنّ نجداً وأعرابهم[٥] قبل أن يظهر[٦] فيها أمر الصلاة والصيام،

---

(١) صحيح مسلم ٣: ١٢٦٠، برقم: ١: ١٦٣٨.

(٢) راجع سنن ابن ماجة ٢: ٩٠٤.

(٣) سنن أبي داود ٣: ٩٤ برقم ٢٧٩٢، باب ما يستحبّ من الضحايا.

(٤) في «ن»: لذكركم.

(٥) في «ن»: وأعرابها.

(٦) في «ن»: تظهروا.

وتأمروهم بملازمة العبادة للملك الديّان[١]، كانوا كالأنعام أو أضلّ سبيلاً، وقد رفع الله بكم عنهم الشقاق، وجعل بينهم الاتّفاق، وفرّقوا بين الحلال والحرام، وتوجّهوا لأوامر الملك العلاّم.

ويؤيّد ذلك ما رواه إبن عمر عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: اللّهمّ بارك لنا في شامنا، اللهمّ بارك لنا في يمننا، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا، فقال: اللهمّ بارك لنا في شامنا وفي يمننا، ثمّ قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا، فأظنّه قال في الثالثة: هناك موضوع الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان. رواه البخاري[٢].

وإلحاق غير أهل نجد بهم من قياس الشاهد على الغائب، وكيف يخفىٰ علىٰ فحول العلماء وأساطين الفقهاء الذين أقاموا الجمعات والجماعات، وأقاموا الأحكام، وأوضحوا الشبهات، وأمعنوا نظرهم في فهم الآيات والروايات، أنّ الذبح لا يكُون إلاّ لجبّار السماوات؟ مع أنّ ذلك تلقّاه عن الأكابر الأصاغر، وعن الأوائل الأواخر.

فلم يزل أهل الإسلام من قديم الأيّام يذبحُون للأنبياء والأوصياء والعباد الصالحين، ويهدون الثواب إليهم طلباً لمرضات ربّ العالمين.

وإختيارهم للأماكن الشريفه، كحرم النبيّ صلّى الله عليه وآله ونحوه، لما ورد أنّ الأعمال يتضاعف أجرها لشرف الزمان والمكان، كشرف الكوفة[٣].

---

(١) في «ن»: العلاّم.

(٢) صحيح البخاري ٨: ٩٥، باب قول النبيّ صلّى الله عليه وآله الفتنة من قبل المشرق.

(٣) رواه في البحار ١٠٠: ٣٩١ ح ١٦ عن أمالي الصدوق باسناده عن هارون بن خارجة، قال: قال لي الصادق عليه السلام: كم بين منزلك وبين مسجد الكوفة؟ فأخبرته، فقال: ما بقي ملك

روى الأصبغ بن نباته عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ الخضر قال له: إنّك في مدينة[1] لا يريدها جبّار بسوء إلاّ قصمه اللّه[2].

وروي أنّ البركة فيها على اثني عشر ميلاً من سائر جوانبها[3].

وإنّ المسلمين كافّة يتبرّؤون عمّن يدعو غير اللّه، أو يستغيث بغيره[4]، و يذبح أو ينحر لغير اللّه، أو يحلف بغير اللّه، على النحو المعلوم الآن، فإن وقع في نظركم أنّهم يقصدونه ويعتمدونه، ومعاذ اللّه أن يكونوا[5] كذلك.

والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لو علمت منهم ذلك، لكفّرتهم وهاجرت عنهم، معتقداً وجوب ذلك عليّ، ولكن وحقّ من اشتقّ من ظلمة العدم نور الوجود، ما وجدت ذلك منهم، ولا صدر عنهم، ولا بأس عليكم.

فربّما افترى الحاضرون لديكم تقرّباً بذلك إليكم، فاقتصر على

مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا عبد صالح دخل الكوفة إلاّ وقد صلّى فيه، وإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله مرّ به ليلة أُسري به فاستأذن له الملك، فصلّى فيه ركعتين، والصلاة الفريضة فيه ألف صلاة، والنافلة فيه خمسمائة صلاة، والجلوس فيه من غير تلاوة وقرآن عبادة، فأته ولو زحفاً.

(١) في الامالي: مدرة.

(٢) رواه الشيخ الطوسي في أماليه ١: ٥٠، ورواه عنه في البحار ١٠٠: ٣٩٦ ح ٢٣، وقال: المدرة بالتحريك: البلدة.

(٣) بحار الأنوار ١٠٠: ٣٩٤ ح ٢٨ عن المزار الكبير.

(٤) في «ن»: بغير اللّه.

(٥) في «ط»: يكون.

حدودك التي أنت فيها، فإنّ النفس إذا قنعت، فقليل [١] من الدنيا يكفيها.

وفي المشكاة: عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّي لست أخشىٰ عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخشىٰ عليكم أن تنافسوا فيها فتهلكوا، كما هلك من كان قبلكم [٢].

وبعد تأمّل صادق [٣] لا نجد عند من شاهدناه ممّن يدّعي الإسلام وينتسب إلىٰ ملّة سيّد الأنام ذبحاً، ولا نحراً، ولا نذراً، ولا عتقاً [٤]، ولا تصدّقاً، ولا وقفاً، ولا شيئاً من العبادات ممّا يتعلّق بالماليّات والبدنيّات، ولا توسّلاً، ولا تقرّبا. إلاّ إلىٰ جبّار الأرضين والسماوات، ولو أعلم ذلك منهم ما قبلت كلمة الإسلام الصادرة عنهم.

فمهلاً يا أخي مهلاً مهلاً، فإنّ القوم ليس حالهم كما وصل إليكم وورد عليكم، فإنّي بهم خبير، وبأحوالهم بصير، وليس غرضي مجرّد تزكيتهم، ولكن والله هذا الذي علمته من سريرتهم [٥]، والله الموفّق.

المقصد الرابع

(في النذر لغير الله)

هذا المقام من مزالّ الأقدام، وإنّما كثرت فيه الأقاويل؛ لخفاء الموضوع إلاّ على القليل، فإنّه لا ينبغي الشكّ في أنّ النذر لغير الله علىٰ أنّه أهل لأن ينذر له؛ لأنّه مالك الأشياء وبيده زمامها من الكفر والشرك؛

---

(١) في «ن»: قليل.

(٢) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٢٥ برقم: ٣٩٩٧.

(٣) في «ن»: التأمّل الصادق.

(٤) في «ط»: اعتقاداً.

(٥) في «ن»: سيرتهم.

لأنّ النذر من أعظم العبادات، وإن أُريد أنّه ينعقد بذلك وإن لم يذكر اسم اللّه عليه.

فهي مسألة فقهيّة فرعيّة، واعتقاد ذلك لا عن دليل تشريع حرام، ولا يخرج عن ملّة الإسلام.

وليس المعروف في هذه البلدان النذر لغير اللّه إلاّ علىٰ معنىٰ أنّه[١] صدقة يهدىٰ ثوابها إلىٰ أولياء اللّه، فمعنى النذر للنبيّ صلّى اللّه عليه وآله مثلاً أنّه صدقة منذورة يهدىٰ ثوابها له، وهكذا النذر لسائر الأولياء.

فلا يزيد هذا علىٰ من نذر لأبيه وأُمّه، أو حلف، أو عاهد أن يتصدّق عنهم، كما روي عنه صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال للبنت التي نذرت لأبيها[٢] عملاً: ف بنذرك[٣].

فإن كان النذر للآباء والأُمّهات كفراً، كان هذا كفراً، وإلاّ فلا. فمن حاول بالنذر حصول الثواب والتقرّب إلى اللّه زلفىٰ من المنذور له، علىٰ أن يكون الفعل له لا علىٰ أن يكون الثواب له، فهو ضالّ مضلّ. وأمّا من قصد خلاف ذلك، فلا بأس عليه.

واختيار بعض الأمكنة للنذر[٤] طلباً لشرف المكان، حتّىٰ يتضاعف ثواب العبادة، كما يختار بعض الأزمنة لبعض العبادات، لا بأس به، بل

---

(١) في «ط»: أنّها.

(٢) في «ن»: لأُمّها.

(٣) صحيح مسلم ١: ٨٠٤ و٩٧٣.

(٤) في «ن»: للنذور.

لا بأس بتخصيص بعض الأمكنة المباركة، وهو المستفاد[1] من الأخبار، كما لا يخفى على من حام حول الديار.

روى ثابت بن الضحّاك، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّ رجلاً سأله أنّه نذر أن يذبح ببوّانة، قال: هل كان فيها وثن يعبد؟ قال: لا، قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ فقال: لا، فقال: ف بنذرك[2].

ثمّ إنّي أعلم واللّه أنّك لو وضعت منادياً ينادي في بلاد الإسلام، ويعلو بصوته في كلّ مقام، ليجد شخصاً يعدّ من نوع الإنسان يقصد بنذره غير وجه الملك الديّان، لرجع[3] إليك صفر اليدين، ولم يجد ناذراً للنبيّ صلّى اللّه عليه وآله، أو الصحابة، أو الحسنين ليهما السلام.

وكيف يقصدونهم بنذرهم[4] وعبادتهم مع علمهم بمماتهم؟ وإذا دخلوا إلى [مواضع] قبُورهم قرؤا لهم القرآن، وأهدوا إليهم من صلاتهم بعض ما كان ودّعوا لهم برفعة الدرجات، وزيادة الأجر عند ربّ السماوات، فان كانوا معبُودين باعتقادهم، فكيف يهدون إليهم عبادة العبيد؟

ليت شعري كم من الفرق بين من يعبد ليقرب إلى اللّه زلفى، وبين من يُعْبَدُ اللّه عنه ليقرّبُوا للّه زلفى، واللّه ما نذرت نذور، ولا جزرت جزُور ممّن يتّصف بالإيمان ويقرّ بالشهادتين بالقلب واللسان إلاّ لوجه الملك الديّان، وطلباً لرضاء الواحد المنّان.

---

(١) في «ن»: مستفاد.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٣٧٦، و٤: ٦٤. وسنن ابن ماجة ١: ٦٨٨، باب الوفاء بالنذر.

(٣) في «ط»: ليرجع.

(٤) في «ن»: بنذورهم.

فمن كانت هذه مقاصدهم، وعلىٰ ذلك بنوا قواعدهم، كيف ينسبون إلىٰ عبادة غير اللّه؟ ويشبّهونٰ بعبدة الأصنام المثبتين شريكاً للملك العلاّم؟

ليت شعرى لو أنّ الرسل جاءت بالسجُود للأحجار، أو لبعض الكواكب والأشجار، لم يكن ذلك السجُود إلاّ عبادة للملك الجبّار؛ لأنّ الطاعة للآمر لا لمن يكن له في ذلك اختيار.

ولو أنّ الناظر لصور الكواكب وهيئة الأفلاك، تدبّرها تفكّراً في عظمة الخالق، وسجد، كان عابداً لمدبّرها.

ثمّ ليس المراد بالعبادة مجرّد الخضُوع والتذلّل، كما هو المعنى القديم، بل يراد معنىٰ جديد، وهو التذلّل الخاصّ علىٰ شرط أن يكُون في كمال الصفاء والإخلاص.

وعلىٰ فرض أن يصدر من بعض أعوام المسلمين، لعدم قربهم من محالّ العلماء، فلا ينبغي معاملة الجميع بهذه المعاملات، والبناء علىٰ نسبتهم إلى الشرك من دون قيام البيّنة[1].

فقف يا أخي في مواضع[2] الشبهات، لئلاّ تقع في الهلكات، وإنّي واللّه فرح مسرور بدفعك عن أبناء السبيل كلّ محذور، وأمرك بالصلاة والصيام، وإنفاذ ما شرع النبيّ صلّى اللّه عليه وآله من الأحكام، إلاّ انّي أخشىٰ عليك أن تأخذ العالم بذنب الجاهل، والمنصف بورط[3] المعاند

---

(١) في «ن»: البيّنات.

(٢) في «ط»: موضع.

(٣) في «ن»: بورطة.

المجادل، وفّقنا اللّٰه لطريق الفوز برضاه في يوم الحساب، فإنّه أرحم الرّاحمين.

المقصد الخامس

(في القسم بغير اللّٰه)

لاٰ يرتاب مسلم بأنّ القسم بغير اللّٰه، علىٰ وجه إرادة صاحب العظمة والكبرياء والملكوت والقدرة والجبروت، باعث عن الخروج عن ربقة المسلمين.

وأمّا إرادة مجرّد التأكيد، فلا يلزم منه كفر، ولاٰ شرك باللّٰه[1]؛ إذ ليس مدار الكفر علىٰ مجرّد العبارات، ويدلّ علىٰ ذلك أنّه قد ورد القسم بغير اللّٰه متواتراً في كلام الصحابة والتابعين، بل في كلام خاتم النبيين.

ففي[2] كتاب علي عليه السلام إلىٰ معاوية: لعمري لإن نظرت بعقلك دون هواك، لتجدنّي أبرأ الناس من دم عثمان[3].

وفي كلام له آخر إلىٰ معاوية: وأمّا تحذيرك إيّاي أن يحبط عملي وسابقتي في الإسلام، فلعمري لو كنت الباغي عليك لكان لك أن تخوّفني[4].

وفي كتاب معاوية: فإن كنت أبا حسن إنّما تحارب عن الإمارة[5]

---

(١) في «ن»: اشراك بديهة.

(٢) في «ط»: ووقع في.

(٣) نهج البلاغة: ٣٦٧، رقم الكتاب: ٦، وكتاب وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٩، وراجع ص ٥٧.

(٤) راجع كتاب وقعة صفّين: ٥٨ و ٤٧١.

(٥) في «ن»: على الأمرة.

والخلافة، فلعمري لو صحّت خلافتك لكنت قريباً من أن تعذر في حرب المسلمين[١].

وقد وقع هذا القسم بلفظ لعمري في كلام الصحابة، في نثرهم وشعرهم، بحيث يتعذّر ضبطه.

وعن بعض أهل البيت أنّ واحداً من أصحابه حلف عنده: وحقّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله ما فعلت كذا، وأقرّه على ذلك.

وفي شرح مصابيح الطيّبي عنه صلّى اللّه عليه وآله: أفلح الرجل وأبيه واللّه[٢]. وحمل على أنّها لم يرد بها حقيقة القسم، وإنّما تجري على اللسان لمجرّد التأكيد.

وفي حديث طلحة: إنّ رجلاً من أهل نجد جاء يسأل عن الإسلام، فقال: أفلح الرجل واللّه إن صدق[٣].

وروى نصر بن مزاحم، عن رجاله، عن عمرو بن العاص أنّه سمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وهو يقول لعمّار: تقتلك الفئة الباغية، وكان ذكره لأهل الشام قبل وقعة صفّين بعشرين سنة، فسمعه عبد اللّه بن عمر العنسي، وكان أعبد أهل زمانه، فخرج ليلاً وأصبح في عسكر علي عليه السلام، وحدّث الناس بقول عمرو، وقال شعراً:

والرّاقصات بركب عابدين له ... إنّ الذي جاء من عمرو لمأثور
ما في مقال رسول اللّه في رجل ... شكّ ولا في مقال الرسل تحبير[٤]

---

(١) راجع كتاب وقعة صفّين: ١١٠.

(٢) صحيح مسلم ١: ٤٢. سنن البيهقي ٢: ٤٦٦.

(٣) صحيح مسلم ١: ٤١. سنن البيهقي ٤: ٢٠١، وقال: رواه البخاري ومسلم في الصحيحين.

(٤) كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٣٤٣ - ٣٤٥.

ومن الشعر المنقول عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قوله:

«نحن وبيت اللّه أولىٰ بالنبيّ»

وكم للصحابة والتابعين من حلف بشيبة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وضريحه وعينيه وتربته، وليس هذا من القسم الحقيقي في شيء، بل المراد مجرّد التأكيد والتثبّت دُون حقيقة القسم التي هي مدار القضايا والحكومات، وتدور عليها ما لزم من الكفّارات.

فما ورد عن إبن عمر، عن النبي صلّى اللّه عليه وآله: إنّ اللّه نهاكم أن تحلفوا بآبائكم[1].

وفي الصحيحين: إنّ اللّه نهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فلا يحلف إلاّ باللّه أو يصمت[2].

وعن عبد الرّحمٰن بن سمرة، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: لا تحلفوا بالطواغي، ولا بآبائكم. رواه مسلم[3].

وعن أبي هريرة عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: لاٰ تحلفوا بآبائكم، ولاٰ بأُمّهاتكم، ولاٰ بالأنداد. رواه أبو داود والنسّائي[4].

وعن بريدة، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: من حلف بآبائه[5] فليس منّا[6].

---

(١) كنز العمّال ١٦: ٦٨٨، برقم: ٤٦٣٣٤.

(٢) صحيح مسلم ٣: ١٢٦٧، باب النهي عن الحلف بغير اللّه تعالىٰ.

(٣) صحيح مسلم ٣: ١٢٦٨، برقم: ٦/ ١٦٤٨.

(٤) سنن أبي داود ٣: ٢٢٢، برقم: ٣٢٤٨. وكنز العمّال ١٦: ٦٨٨، برقم: ٤٦٣٣٧.

(٥) في كتب الحديث: بالأمانة.

(٦) سنن أبي داود ٣: ٢٢٣ برقم: ٣٢٥٣. وكنز العمّال ١٦: ٦٨٩ برقم: ٤٦٣٤١.

فهذه الأخبار محمولة علىٰ من قصد اليمين الحقيقي المثبتة والنافية التي تترتّب عليها الكفّارة؛ فإنّها لاٰ تكون إلاّ باللّه.

ونقل عن أحمد أنّ الحلف بالنبيّ صلّى اللّه عليه وآله ينعقد لأنّه أحد ركني الشهادة، أو يحمل على الكراهة، كما في شرح المنهاج، وفيه الحلف بالمخلوق كالنبيّ صلّى اللّه عليه وآله والكعبة وغيرهما مكروه؛ لقوله: لاٰ تحلفوا بآبائكم، ولاٰ بأُمّهاتكم، ولاٰ تحلفوا إلاّ باللّه[1].

والتحقيق أنّ الحلف الغير المقصُود معناه لاٰ بأس به.

روىٰ أبو هُريرة عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: اليمين علىٰ نيّة المستحلف[2].

القسم الثاني: أن يراد به الإثبات والنفي، فإن كان مأخُوذاً عن دليل، لم يكن فيه بأس، وترتّب عليه الأثر عند الفقيه المثبت له، ولم يكن عليه شيء، وإن قصد بالحلف بالمخلوق أنّه ذو الكبرياء والجبرُوت والملك والملكوت، فهو كفر.

وربّما ينزّل[3] عليه ما رواه إبن عمر، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: انّ من حلف بغير الله فقد أشرك. رواه الترمذي[4].

وروىٰ عن إبن عمر، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: انّ من حلف بغير اللّه فقد كفر[5].

---

(١) تقدّم مصادر الحديث.

(٢) صحيح مسلم ٣: ١٢٧٤ برقم: ٢١. وكنز العمّال ١٦: ٧٠٣ برقم: ٤٦٤٢٦.

(٣) في «ن»: نزّل.

(٤) سنن الترمذي ٤: ٩٤.

(٥) سنن الترمذي ٤: ٩٣ - ٩٤ برقم: ١٥٣٥.

أو ينزّل هذا على المبالغة، كما ورد في كثير من فعل المعاصي وترك الواجبات، وما عدا هذا القسم والذي قبله يحمل [١] على الكراهة؛ إذ لو كان حراماً ما صدر من الصحابة بمحظر من الناس، ولم ينكر عليهم.

مضافاً إلىٰ أنّه ممّا توفّر الدواعي علىٰ نقله، ولو كان محرّماً للهجت به ألسنة الخطباء والوعّاظ، ولم يخف على الصبيان، فضلاً عن العلماء الأعيان، وليس الغرض المهمّ سوىٰ دفع الكفر عن الناس إذا صدر منهم مثل ذلك.

وتفسير [٢] الحال: أنّ القسم والعهد [بغير اللّه] [٣] إن قصد بهما ذو العزّة والجلال والعلوّ فوق كلّ عال، كما يحلف المربُوب بربّه، فذلك كفر وإشراك.

وإن قصد ترتّب الأحكام عليه من إثبات حقُوق الناس ولزوم الكفّارات، فذلك تشريع وعصيان، إلاّ ممّن أثبته [٤] ممّن عمّم الدليل والبرهان.

وإن رأىٰ وجُوب العمل بذلك لمجرّد الإكرام؛ لأنّ عدم العمل ينافي الإحترام، فلا أرىٰ فيه بأساً في المقام.

وإن أُريد به مجرّد التأكيد من دُون ترتّب شيء من الأحكام، فأولىٰ بالدخول بالمباح، والخرُوج من الحرام وإن وقع لغواً بغير قصد، فلا يعدّ من الإيمان، ولا مدار عليه في شيء كائناً ما كان، واللّه الموفّق.

---

(١) في «ن»: بناءه.

(٢) في «ن»: تفصيل.

(٣) الزيادة من هامش «ن» استظهاراً.

(٤) في «ن» أثبت ذلك.

المقصد السادس

(في الإستغاثه)

لاٰ يخفي أنّ الإستغاثة بالمخلوق علىٰ أنّه الفاعل المختار لاٰ تدخل المستغيث[١] في أقسام الكفّار، وإنّما المراد منه طلب الشفاعة، وسؤال الدعاء.

وقد روى النسّائي والترمذي في حديث الأعرابيّ أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه وآله علّمه قول «يا محمّد إنّي توجّهت بك إلى اللّه». ونحوه ما في حديث إبن حنيف[٢].

وروى البيهقي خبراً صحيحاً[٣] أنّه في أيّام عمر جاء رجل إلىٰ قبر النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، فقال: يا محمّد إستسق لأُمّتك فسقوا[٤].

وروى الطبراني وابن المقري وأبو الشيخ أنّهم كانوا جياعاً، فجاؤوا إلىٰ قبر النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، فقالوا: يا رسول اللّه الجوع الجوع، فأُشبعوا.

وروى البيهقي عن مالك الدار خازن عمر، قال: أصاب الناس قحط، فذهب رجل إلىٰ قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله فقال: يا رسول اللّه إستسق لأُمّتك فقد هلكوا، فأتاه النبيّ صلّى اللّه عليه وآله في المنام،

---

(١) في «ن»: مدخل للمستغيث.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٥٣١ برقم: ٣٥٧٨. وسنن ابن ماجة ١: ٤٤١ برقم: ١٣٨٥، وفيه: ويدعو بهذا الدعاء: اللهمّ انّي أسألك وأتوجّه اليك بمحمّد نبيّ الرحمة، يا محمّد إنّي قد توجّهت بك إلىٰ ربّي في حاجتي هذه لتقضي، اللهمّ فشفّعه فيّ.

(٣) في «ن»: في خبر صحيح.

(٤) صحيح البخاري ٤: ٢٠٩.

وقال له: قل لعمر إنّهم سقوا[١].

ومن ذلك قوله تعالىٰ ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذي مِنْ شيعَتِهِ عَلَى الَّذي مِنْ عَدُوِّهِ﴾[٢].

وعن معاذ أنّه لمّا كان في اليمن جاءه نعي النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، فرجع وهو يقول: يا محمّداه يا أبا القاسماه، وبقي علىٰ ذلك برهة من الزمان.

وعن أبي بكر بن محمّد بن الفضل أنّ بلالاً لمّا أخذ بالنزع، قالت إمراته: واويلاه واحزناه، فقال لها: لاٰ تقولي واحزناه، فإنيّ قصدت الذهاب إلىٰ محمّد وحزبه.

وروى الكازروني، عن النعمان بن بشير، قال: أُغمي علىٰ عبد اللّه بن رواحة، فجعلت أُخته عمرة تبكي وتقول: واجبلاه[٣].

وما روي عن أبي موسى عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه ما من ميّت يمُوت، فيقُوم باكيه ويقول: واجبلاة واسيّداه إلاّ وكّل اللّه به ملكين يلهزانه ويقولان له: أكنت هكذا[٤].

فمبنيّ على النهي عن العزاء والبكاء.

وفي قصّة إدريس أنّ المطر إنقطع عن قومه عشرين سنة، فجاؤوا إليه يدع لهم[٥].

وعن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أنّ ملكاً غضب اللّه عليه، فأهبط

---

(١) راجع مسند أحمد بن حنبل ٣: ٢٧١.

(٢) القصص: ١٥.

(٣) سنن البيهقي ٤: ٦٤.

(٤) سنن الترمذي ٣: ٣٢٦ - ٣٢٧ برقم: ١٠٠٣. وكنز العمّال ١٥: ٦١١ برقم: ٤٢٤٣١.

(٥) راجع بحار الأنوار ١١: ٢٧٣ - ٢٧٦.

من السماء، فأتىٰ إدريس، فاستشفع به، فدعىٰ له، فأذن له في الصعود، فصعد[1].

وفي الحقيقة أنّ المستغيث بالمخلوق إن أراد طلب الدعاء والشفاعة من المستغاث به، فلا بأس به، وإن أراد إسناد الأُمور بالإستقلال إليه، فالمسلمون منه براء.

علىٰ أنّا بيّنا فيما سبق أنّ الإستغاثة بذات زيد وصفاته وغلمانه وخدمه، ربّما أُريد بها الإستغاثة به، فيكُون هذا أولىٰ في بيان ذلّ المستغيث، وإنّه لاٰ يرىٰ لسانه أهلاً لأن يجرى عليه إسم المولىٰ، ولهذا ترىٰ أنّ طاعته يذكر بعد طاعة اللّه ورسوله، ورضاه يذكر بعد رضا اللّه ورسوله، وإذا انفردت إحداهما دخلت فيهما[2] الأُخرىٰ.

روىٰ أبو هُريرة عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: من أطاعني فقد أطاع اللّه، ومن عصاني فقد عصى اللّه، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني[3].

وكيف يستغاث حقيقة بمن لاٰ يدفع عن نفسه ضرّاً ولاٰ شرّاً، ولاٰ يملك رزقاً، ولاٰ موتا، ولاٰ حياة، ولاٰ نُشوراً، المبدىء من تراب، ثمّ من نطفة مودعة في الأصلاب، ثمّ جسم جامع للعذرات[4]، ثمّ بعدها يكون من الأموات.

وإنّما شرفه بالعبُوديّة والإنقياد للحضرة القدسيّة، ولولاٰ أمر اللّه ما

---

(١) بحار الانوار ١١: ٢٧٨ ح ٧.

(٢) في «ن»: فيها.

(٣) صحيح مسلم ١: ١٤٦٦، برقم: ٣٢ / ١٨٣٥، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

(٤) في «ن» شخط على الجملة، وكتب في الهامش: معرض للبليّات. ظ.

سمع له كلام، ولا رفع له مقام، وليس بيننا وبينه ربط سوىٰ أمر الملك العلاّم.

فليس المراد بالإستغاثة إلاّ طلب الدعاء من المستغاث به، لما في الحديث القدسي: يا مُوسىٰ اُدعني بلسان لم تعصني به، فقال: يا ربّ وأين ذلك؟ فقال: لسان الغير[1].

فالمستغيث إن طلب أصالة وإستقلالاً من المستغاث به، كان معوّلاً عليه في كلّ أمر يرجع فيه إليه، وإلاّ فالمستغاث به حقيقة هو الذي تنتهي إليه الأُمور.

وكذلك الدعاء إن قصد أنّ المدعوّ هو الفاعل المختار الذي تنتهي إليه الأشياء، فذلك كفر بربّ السماء، وإن اُريد المجاز، فلا يدخل تحت حقيقة الدعاء.

ولا ريب أنّ كلّ من قال لشخص: أعنّي علىٰ بناء الدار، أو علىٰ قضاء الدين، أو قال: أعطني، أو غير ذلك، بقصد الدعاء، أعني: طلب المربُوب من الربّ، فهو كفر وإشراك. وإن قصد الطلب لا علىٰ ذلك النحو، لم يكن كفراً.

ولو كان المدار علىٰ هذه الصُورة، لكفرت الخلائق من يوم آدم إلىٰ يومنا هذا، بل صدُور هذه العبارات عن الأنبياء والأوصياء أبين من الشمس.

وكذلك الإستجارة والندبة ونحوهما، فإن كانت على الطُور المعهود،

---

(١) عدّة الداعي لابن فهد الحلّي: ١٢٠ و ١٧٠.

كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [١] ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [٢] ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ [٣] فلا محيص عن القول بجوازه.

فتفاوت العبارات باختلاف النيّات، فمن كان داعياً دعاء الأصنام وسائر الأرباب، أو مستغيثاً كذلك، فهو كافر مشرك. وإن أراد المتعارف بين سائر الناس، فليس به بأس.

فبحقّ من شقّ سمعك وبصرك، ألزمك أن تمعن في هذا المقام نظرك، وتصفّي نفسك عن حبّ الإنفراد، كما يلزمنا التخلية عن حبّ متابعة الآباء والأجداد.

ولا فرق بين الأحياء والأموات، لأنّ من استغاث بالمخلوق أو استجار، علىٰ أنّه فاعل مختار، فقد دخل في أقسام الكفّار، فالإستغاثة بعيسىٰ أو بمريم، حيّين أو ميّتين، كفر على القسمين [٤].

وإعتقاد أنّ الميّت يسمع أو لا يسمع، ليس من عقائد الدين التي تجب معرفتها على المسلمين، فمن اعتقدها: فإمّا أن يكون مصيباً مأجوراً، أو مخطئاً معذوراً.

ومن ذلك القبيل الألفاظ التي تفيد الرّجاء والتوكّل والإعتماد والتعويل والإلتجاء والإستعانة بغير اللّه، فإنّ هذه العبارات لو بني علىٰ ظاهرها لم يبق في الدنيا مسلم؛ إذ لا يخلو أحد من الإستعانة على

---

(١) التوبة: ٦.

(٢) القصص: ١٥.

(٣) البقرة: ٦١.

(٤) في «ن»: تقع على القسمين.

الأعداء، والإعتماد على الأصدقاء، والإلتجاء إلى الأُمراء، ونحو ذلك.

إلاّ أنّه إن قصد الملتجأ إليه والمعوّل عليه من المخلوقين، في أنّ له إختيار وتدبير في العالم لنفسه لا عن أمر اللّه، فذلك كفر باللّه، وإلاّ فلا بأس.

وممّا يناسب نقله في هذا المقام ما نقله القتيبي، قال: كنت جالساً عند قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، فجاء أعرابيّ، فسلّم على النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، ثمّ أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنّ القاع والاكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثمّ قال: ها أنا ذا يا رسول اللّه، فقد ظلمت نفسي، وأنا أستغفر اللّه وأسألك يا رسول اللّه أن تستغفر لي. قال القتيبي: ثمّ نمت، فرأيت النبيّ صلّى اللّه عليه وآله في المنام، فقال: يا قتيبي أدرك الأعرابيّ وبشّره أنّه قد غفر اللّه له، قال: فأدركته وبشّرته.

المقصد السابع

(في التوسّل)

ولا ريب أنّه من سنن المرسلين، وسيرة السلف الصالحين، ودلّت عليه الأخبار والآثار.

نقل أنّ آدم لمّا اقترف الخطيئة، قال: يا ربّي أسألك بحقّ محمّد صلّى اللّه عليه وآله لمّا غفرت لي، فقال: يا آدم كيف عرفته؟ قال: لأنّك لمّا خلقتني نظرت إلى العرش، فوجدت مكتُوباً فيه: لا إله إلاّ اللّه، محمّد رسول اللّه. فرأيت إسمه مقروناً مع إسمك، فعرفته أحبّ الخلق

إليك. صحّحه الحاكم[١].

وعن عثمان بن حنيف أنّ رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلّى اللّه عليه وآله، فقال: أُدع اللّه أن يعافيني، فقال النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: إن شئت صبرت فهو خير لك، وإن شئت دعوت، قال: فادعه، فأمره أن يتوضّأ ويدعو بهذا الدعاء: اللّهمّ إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمّد نبيّ الرحمة، يا محمّد إنّي توجّهت بك إلىٰ ربّي في حاجتي لتقضيها لي، اللهمّ شفّعة فيّ[٢].

وفيه دلالة علىٰ جواز الشفاعة في الدنيا وعلى الإستغاثة، رواه الترمذي، والنسّائي[٣]، وصحّحه البيهقي، وزاد: فقام وأبصر[٤].

ونقل الطبراني عن عثمان بن حنيف أنّ رجلاً كان يختلف إلىٰ عثمان بن عفّان في حاجته، فكان لاٰ يلتفت إليه، فشكى ذلك لابن حنيف، فقال له: إذهب وتوضّأ وقل، وذكر نحو ما ذكر الضرير، قال: فصنع ذلك، فجاء البوّاب، فأخذه وأدخله إلىٰ عثمان، فامسكه على الطنفسة وقضىٰ حاجته[٥].

وروي أنّه لمّا دعى النبيّ صلّى اللّه عليه وآله لفاطمة بنت أسد، قال: اللهمّ إنّي أسألك بحقّ نبيّك والأنبياء الذين من قبلي إلىٰ آخر الدعاء[٦].

---

(١) مستدرك الحاكم ٢: ٦١٥.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٥٣١ برقم: ٣٥٧٨.

(٣) سنن النسّائي، باب عمل اليوم والليلة.

(٤) كنز العمّال ٢: ١٨١ برقم: ٣٦٤٠.

(٥) راجع سنن ابن ماجة ١: ٤٤١ برقم: ١٣٨٥، وكنز العمّال ٦: ٥٢١ برقم: ١٦٨١٦.

(٦) راجع كنز العمّال ٢: ١٨٩.

وفي الصحيح عن أنس أنّ عمر بن الخطّاب كان إذا أقحط الناس إستسقىٰ بالعبّاس، فقال: اللّهمّ إنّا كنّا نتوسّل إليك بنبيّك فتسقينا، وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبيّك فاسقنا، قال: فيسقون[١].

وفي رواية الحافظ عن إبن عبّاس أنّ عمر قال: اللّهمّ إنّا نستسقيك بعمّ نبيّنا ونستشفع بشيبته، فسقون[٢].

وروى الشيخ عبد الحميد بن أبي الحديد عن عليّ عليه السلام أنّه قال: كنت من رسول اللّه كالعضد من المنكب، وكالذراع من العضد، ربّاني صغيراً، وواخاني كبيراً، سألته مرّة أن يدعو لي بالمغفرة، فقام فصلّى، فلمّا رفع يديه سمعته يقول: اللهمّ بحقّ عليّ عندك إغفر لعليّ، فقلت: يا رسول اللّه ما هذا؟ فقال: أوَ أحد أكرم منك عليه، فأستشفع به إليه[٣].

وفي هذين الخبرين دلالة علىٰ شفاعة الدنيا[٤]

وفي مسند إبن حنبل أنّ عائشة قال لها مسروق: سألتك بصاحب هذا القبر ما الذي سمعت من رسول اللّه ـ يعني: في حقّ الخوارج ـ قال: سمعته يقول: إنّهم شرّ الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة،

---

(١) سنن البيهقي ٣: ٣٥٢.

(٢) صحيح البخاري ٢: ١٦. كتاب الاستسقاء. أقول: قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ويستفاد من قصّة العبّاس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوّة، وهذه القصّة متعلّقة بعام الرمادة.

(٣) شرح نهج البلاغة ٤: ٥٥٨ ط مصر.

(٤) في «ط»: الدعاء.

وأقرَبهم عند اللّه وسيلة[١].

وعن الأعمش أنّ إمرأة ضريرة بقيت ستّة ليال تقسم على اللّه بعليّ، فعوفيت.

فما رواه جبير بن مطعم عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه أتاه أعرابي، فقال: جهدت النفس، وجاع العيال، فاستسق لنا، فإنّا نستشفع بك إلى اللّه، ونستشفع باللّه عليك، فقال النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: ويحك أنّه لا يستشفع باللّه علىٰ أحد، شأن اللّه أعظم[٢]، فليس ممّا نحن فيه؛ لأنّه نهىٰ عن الإستشفاع باللّه لا بأحد على[٣] اللّه.

وعن عليّ عليه السلام أنّه قال لسعد بن أبي وقّاص: أسألك برحم إبني هذا، وبرحم حمزة عمّي منك أن لا تكون مع عبد الرحمن[٤].

وعن عائشة أنّ النبيّ أسرّ إلىٰ فاطمة سرّاً، فبكت بكاءً عظيماً شديداً، فسألتها، فقالت: لا أُفشي سرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، فلمّا قبض سألتها وقلت لها: عزمت عليك بما لي عليك من الحقّ[٥].

وروىٰ أبو مخنف عن إبن الخليل، قال: لمّا نزل طلحة والزبير في موضع كذا، قلت: ناشدتكم اللّه وصحبة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله.

وعن عليّ عليه السلام أنّ يهوديّاً جاء إلى النبيّ صلّى اللّه عليه وآله،

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٤٠.

(٢) كنز العمّال ١: ٢٢٤ برقم: ١١٣٢.

(٣) في «ن»: إلىٰ.

(٤) راجع سنن الترمذي ٥: ٦٠٧.

(٥) راجع صحيح البخارى ٤: ٢١٠، وسنن الترمذي ٥: ٦٥٨. وصحيح مسلم ٤: ١٩٠٥ برقم: ٩٨.

فقام بين يديه، وجعل يحدّ النظر إليه، فقال: يا يهُودي ما حاجتك؟ فقال أنت أفضل أم موسى؟ فقال له: إنّه يكره للعبد أن يزكّي نفسه، ولكن قال اللّه تعالىٰ ﴿وأمّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[١] انّ آدم لمّا أصابته خطيئته التي تاب منها كانت توبته: اللّهمّ إنّي أسألك بمحمّد وآل محمّد لمّا غفرت لي، فغفر له[٢].

وعن عليّ عليه السلام أنّه بعد دفن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله قام عند قبره الشريف، فقال مخاطباً له: طبت حيّاً وطبت ميّتا، إنقطع عنّا بموتك ما لم ينقطع بموت أحد سواك من النبوّة والأنباء وأخبار السماء، والحديث طويل إلى أن قال: بأبي أنت وأمّي اُذكرنا عند ربّك، واجعلنا من بالك وهمّك[٣].

ونقل الشيخ عبد الحميد أنّ معاوية سأل عقيلاً عن عليّ، فقال له عقيل: يا معاوية جاءته زقاق عسل من اليمن، فأخذ الحسين منها رطلاً واشترىٰ إداماً لخبزه، فلمّا جاء عليّ ليقسّمها قال: يا قنبر أظنّ أنّه قد حدث بهذا حدث؟ قال: نعم، فأخبره بقصّة الحسين عليه السلام، فغضب وقال عليّ بحسين فرفع الدرّة، فقال: بعمّي جعفر، وكان إذا سئل بحقّ جعفر سكن، فأجابه الحسين بما أجاب.

ونقل الشيخ عبد الحميد أنّ رجلاً وفد من مصر، فاستعاذ بعمر.

وكيف كان فقد بان أنّ من توسّل إلى اللّه بمعظّم، من: قرآن، أو نبيّ،

---

(١) الضحى: ١١.

(٢) بحار الانوار ١١: ١٧٦. وكنز العمال ١١: ٤٥٥ برقم: ٣٢١٣٨.

(٣) كنز العمال ٧: ٢٣٢ و٢٥٢ و٢٥٥ و٢٤٨.

أو عبد صالح، أو مكان شريف، أو بغير ذلك، فلا بأس عليه، بل كان آتياً بما هو أولىٰ وأفضل.

ولاٰ بأس بالتوسّط بحقّ المخلوقات، فإنّ للمولىٰ علىٰ عبده حقّ المالكيّة، وللعبد حقّ المملوكيّة، وللخادم حقّ الخدمة، وللأرحام حقّ الرحم، وللصديق حقّ الصداقة، وللجار حقّ الجوار، وللصاحب حقّ الصحبة، فالحقّ عبارة عن الرابطة بأيّ نحو اتّفقت، وعلىٰ أيّ جهة كانت.

وعلىٰ ذلك جرت عادة السلف من أيّام النبيّ صلّى اللّه عليه وآله إلىٰ يومنا هذا، لاٰ ينكره أحد من المسلمين، والدعوات والمواعظ مشتملة عليه، والإجماع منعقد عليه، فلم يبق في المقام إشكال، ولاٰ بقي محلّ للقيل والقال، واللّه وليّ التوفيق، وهو أرحم الراحمين.

المقصد الثامن

(في الشفاعة)

الشفاعة في الحقيقة قسم من الدعاء والرّجاء، وليس من خواصّ الأنبياء والأوصياء، وليس لأحد على اللّه قبول الشفاعة، وإنّما ذلك من ألطافه ومننه، ولاٰ شفاعة إلاّ بإذنه ورضاه، والأخبار فيها متواترة:

روىٰ محمّد بن عمرو بن العاص، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: من سأل اللّه لي الوسيلة، حلّت عليه الشفاعة. رواه مسلم[1].

---

(١) صحيح مسلم ١: ٢٨٨ - ٢٨٩ برقم: ١١ / ٣٨٤ كتاب الصلاة الباب السابع، رواه باسناده عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص أنّه سمع النبيّ صلّى اللّه عليه وآله يقول: إذا سمعتم المؤذّن فقولوا مثل ما يقول، ثمّ صلّوا عليّ، فإنّه من صلّىٰ عليّ صلاة صلّى اللّه عليه بها عشراً، ثمّ سلوا اللّه لي الوسيلة، فإنّها منزلة في الجنّة لاٰ تنبغي إلاّ لعبد من عباد اللّه، وأرجو أن أكون أنا هو،

وعن جابر عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: من سمع الأذان ودعا بكذا، حلّت له شفاعتي يوم القيامة. رواه البخاري[١].

وعن عبد اللّه بن عبّاس، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: ما من رجل مسلم يمُوت، فيقوم علىٰ جنازته أربعون رجلاً، لاٰ يشركُون باللّه شيئاً، إلاّ شفّعهم اللّه فيه. رواه مسلم[٢].

وعن عايشة، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: ما من ميّت يمُوت يصلّىٰ عليه أُمّة من الناس يبلغُون مائة، كلّهم يشفعون له إلاّ شفّعوا فيه. رواه مسلم[٣].

وعن جابر، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: أُعطيت خمساً، فعدّ منها الشفاعة[٤].

وعن إبن عبّاس، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: أنا أوّل شافع وأوّل

فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة.

(١) صحيح البخاري ١: ١٥٢، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، وفيه باسناده عن جابر بن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله قال: من قال حين سمع النداء: «اللهمّ ربّ هذه الدعوة التامّة والصلاة القائمة، آت محمّداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته» حلّت له شفاعتي يوم القيامة.

(٢) صحيح مسلم ٢: ٦٥٥ برقم: ٥٩ / ٩٤٨، كتاب الجنائز، باب من صلّىٰ عليه أربعون شفّعوا فيه.

(٣) صحيح مسلم ٢: ٦٥٤ برقم: ٥٨ / ٩٤٧، كتاب الجنائز، باب من صلّى عليه مائة شفّعوا فيه.

(٤) صحيح مسلم ١: ٣٧٠ - ٣٧١ برقم: ٣ / ٥٢١، كتاب المساجد ومواضع الصلاة. وكنز العمّال ١١: ٤٢٠ برقم: ٣١٩٧٠.

مشفّع يوم القيامة ولا فخر[١].

وعن جابر، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: أنا أوّل شافع وأوّل مشفّع[٢]. ونحوه عن أنس[٣] وأُبيّ بن كعب[٤] وأبي هريرة[٥].

وعن عثمان بن عفّان، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: يشفّع يوم القيامة ثلاثة وعدّ منهم الأنبياء[٦].

وعن أبي سعيد، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّ الشفاعة على مراتب الناس في القابليّة[٧].

وعن عبد اللّه بن مالك، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه أتاني آت من ربّي، فخيّرني بين أن يدخل نصف أُمّتي الجنّة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة[٨].

---

(١) صحيح مسلم ٤: ١٧٨٢ برقم: ٣ / ٢٢٧٨، كتاب الفضائل.

(٢) صحيح مسلم ١: ١٩٠ برقم: ٣٤٥ / ٢٠١. وكنز العمّال ١١: ٤٠٤ برقم: ٣١٨٨٣.

(٣) رواه مسلم في صحيحه ١: ١٨٨، كتاب الايمان، باسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: أنا أوّل الناس يشفع في الجنّة. وباسناد آخر عن أنس بن مالك أنّ نبيّ اللّه صلّى اللّه عليه وآله قال: لكلّ نبيّ دعوة دعاها لأُمّته، وانّي اختبأت دعوتي شفاعة لأُمّتي يوم القيامة.

(٤) سنن ابن ماجة ٢: ١٤٤٣ برقم: ٤٣١٤.

(٥) رواه مسلم في صحيحه ١: ١٨٨، كتاب الايمان، باب اختباء النبيّ صلّى اللّه عليه وآله دعوة الشفاعة لأُمّته.

(٦) سنن ابن ماجة ٢: ١٤٤٣ برقم: ٤٣١٣.

(٧) راجع كنز العمّال ١١: ٤٢٠.

(٨) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٧٥، و٤: ٤٠٤ و٤١٥، وكنز العمّال ١١: ٤٠٥ برقم: ٣١٨٩٢. وسنن الترمذي ٤: ٥٤١ - ٥٤٢ برقم: ٢٤٤١، عن عوف بن مالك الأشجعي. وسنن ابن ماجة ٢: ١٤٤٤ برقم: ٤٣١٧.

وعن عبد اللّه بن أبي جذعان، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: أنّه يدخل الجنّة بشفاعتي رجال[١] من أُمّتي أكثر من بني تميم. رواه الترمذي والدارمي[٢].

وعن أنس أنّه قال: سألت النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: أنا فاعل، قلت: فأين أطلبك؟ قال: أوّلاً على الصراط، قلت: فإن لم ألقك؟ قال: عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك؟ قال: عند الحوض، فإنّي لاأُخطىء هذه المواضع. رواه الترمذي[٣].

وعن أبي سعيد الخدري، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله انّ اللّه يقول بعد فراغ الشفاعين من الشفاعة: شفّعت الملائكة، وشفّع النبيّون، وشفّع المؤمنون، ولم يبق إلاّ أرحم الراحمين[٤].

وعن أنس عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه يحبس[٥] المؤمنُون يوم القيامة، فيقولون لو استشفعنا، فيأتون آدم عليه السلام، فيعتذر بخطيئته، ثمّ إبراهيم، فيعتذر بثلاث كذبات كذبهنّ، ثمّ موسى، فيعتذر بقتل النفس، ثمّ عيسىٰ، فيقول: لست هناك، فيقول اللّه تعالىٰ بعد أن أسجد له: إشفع تشفع الخبر وهو طويل[٦].

---

(١) في السنن: بشفاعة رجل.

(٢) سنن الترمذي ٤: ٥٤١ برقم: ٢٤٣٨، وسنن ابن ماجة ٢: ١٤٤٣ - ١٤٤٤ برقم: ٤٣١٦.

(٣) سنن الترمذي الموسوم بالجامع الصحيح ٤: ٥٣٧ برقم: ٢٤٣٣، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصراط.

(٤) راجع سنن الترمذي ٤: ٥٤١.

(٥) في «ط» يجلس.

(٦) صحيح مسلم ١: ١٨٢ - ١٨٤ برقم: ٣٢٦، وسنن الترمذي ٤: ٥٣٧ - ٥٣٩ برقم: ٢٤٣٤،

وعن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّ ملكاً أُغضب عليه، فأُهبط من السماء،فجاء إلىٰ إدريس عليه السلام، فقال له: إشفع لي عند ربّك، فدعىٰ له، فأُذنَ له في الصعود[١].

وأمّا الدلالة على الشفاعة في الدنيا، فسيجيء في باب زيارة القبور أخبار كثيرة عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: من زارني كنت شفيعاً له[٢].

وبيان الحال: أنّ الشفاعة إن كانت من قبيل الدعاء، فيرجع طلبها إلىٰ إلتماس الدعاء من الأنبياء والأولياء، فتكون عبارة عن دعاء مخصوص لنجاة الغير، أو قضاء حاجته في أُمور الدنيا والآخرة، فلا كلام ولا بحث في جواز طلبها من كلّ أحد، فهي كما لو سألت إخوانك الدعاء، ويؤيّد ذلك أنّه لما سئل إدريس الشفاعة دعا.

ولا فرق بين الأحياء والأموات، فإنّا سنبيّن إن شاء اللّه تواتر الأخبار في أنّ الأموات يسمعون وينطقون، لكنّ الناس لا يسمعون كلامهم، فالشفاعة بهذا المعنىٰ لا غضاضة في طلبها؛ إذ لسنا في ذلك بمنزلة من قالوا لا طاقة لنا بعبادة اللّه، فنحن نعبد الأصنام وهم يوصلوننا إلى اللّه.

فإن أُريد بالشفاعة منصب أعطاه اللّه لنبيّه وأوليائه، فيدفعون بالإذن العامّ عن الناس، بمعنىٰ أنّ اللّه أذن إذناً عامّاً لنبيّه صلّى اللّه عليه وآله في إنقاذ بعض أهل العذاب من العذاب يوم الحساب، فبهذا المعنىٰ

وسنن ابن ماجة ٢: ١٤٤٢، برقم: ٤٣١٢.

(١) بحار الأنوار ١١: ٢٧٧ ح ٣.

(٢) كنز العمّال ٥: ١٣٥ برقم: ١٢٣٧١. وسنن البيهقي ٥: ٢٤٥.

يكُون مخصوصاً في الآخرة.

ولا ريب أنّ المستشفع بالنبيّ صلّى اللّه عليه وآله والأولياء في دار الدنيا، يريد المعنى الأوّل.

فليت شعري ما الذي ينكر من طلب الشفاعة؟ إن كان من[1] جهة خطاب الموتىٰ، فذلك لا يوجب كفراً ولا إشراكاً، لو كان خطأً، فكيف لو كان صواباً، أو من جهة إسناد الأمر إلىٰ غير اللّه، وهذا أعجب من السابق؛ فإنّ الداعي والساعي في حاجة أحد إلىٰ مولاه لا يرتفع عن درجة العبوديّة، ولا سيّما إذا لم يحدث شيئاً إلاّ عن إذنه.

ومن الأُمور البديهيّة[2] أنّ العبيد والخدّام القائمين بشرائط الخدمة والعبوديّة مع الإذن يشفعون عند مواليهم في قضاء حوائج الناس، ولا يخرجهم ذلك عن العبوديّة والخدمة، بل هذا نوع من العبوديّة.

وفي أحاديث الشفاعة ما يدلّ علىٰ عموم الشفاعة في دفع المضارّ الدنيويّة[3] والأُخرويّة.

وقد نقل عن الصحابة بطرق معتبره أنّ الصحابة كانوا يلجؤون إلىٰ قبر النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، ويندبونه في الإستسقاء[4] ورفع الشدائد والأغراض الدنياويّة.

وروى البيهقي بطريق صحيح عن مالك الدارخازن عمر أنّه أصاب الناس قحط، فذهب رجل إلىٰ قبر النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، فقال: يا

---

(١) في «ن»: أمن.

(٢) في «ن»: البديهة.

(٣) في «ط»: الدنياويّة.

(٤) في «ن»: الإستشفاء.

رسول اللّه إستسق لأُمّتك فقد هلكوا، فأتاه النبيّ صلّى اللّه عليه وآله في المنام، فقال له: قل لعمر: قد سقوا[١].

وقد روي أنّ من رأى النبيّ صلّى اللّه عليه وآله في نومه فكأنّما رآه في يقظته؛ لأن الشيطان لا يمثّل به[٢].

ورى البيهقي بطريق صحيح أنّ رجلاً في أيّام عمر جاء إلىٰ قبر النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، فقال: يا محمّد استسق لأُمّتك[٣].

وروى الطبراني وابن المقري أنّهم كانوا جياعاً، فجاؤا إلىٰ قبر النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، فقالوا: يا رسول اللّه الجُوع فأُشبعوا[٤].

والغرض أنّ ذلك ظاهر بين الصحابة والسلف، لاٰ يتناكرونه أبداً، وحيث كان لاٰ يزيد علىٰ سؤال الدعاء، واتّضح في الباب الآتي أنّ الأنبياء والأولياء أحياء، لاٰ يبقى كلام أصلاً.

---

(١) راجع سنن البيهقي ٣: ٣٤٤، وكشف الارتياب للعاملي: ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٧٧٥ - ١٧٧٦، كتاب الرؤيا، باب قول النبيّ صلّى اللّه عليه وآله من رآني في المنام فقد رآني.

(٣) راجع سنن البيهقي ٣: ٣٥٠.

(٤) راجع وفاء الوفاء ٢: ٤٢١.

الخاتمة

وأمّا الخاتمة، فتشتمل على أبواب:

الأوّل

(في حياة الأموات بعد موتهم)

وفيه فصول:

الفصل الأوّل

(في حياة النبيّ صلّى اللّه عليه وآله بعد موته)

وانّه يسمع الكلام ويرد الجواب، كما في حياته غير أنّ اللّه حبس سمع الناس إلاّ قليل من الخواصّ، ولا بعد في ذلك بعد الإقرار بعموم قدرة الجبّار، فإنّه من أودع تلك النطفة روح الإنسان، قادر[1] أن يودعها في أيّ محلّ كان.

ولا ينافي ذلك إطلاق إسم الموت عليه، وانّ الحياة إنّما هي وقت البعث؛ لأنّ المراد أنّ عود تلك الأجسام على الحال السابق والكيفيّة السابقة، إنّما يكون في ذلك الوقت، وانّ ظهُور ذلك للناظرين إنّما يكون في ذلك الحين[2]، ولابدّ أن نتلقّى ما ورد عن النبيّ الكريم بأشدّ القبول والتسليم.

---

(١) في «ن»: قدر.

(٢) في «ط»: الوقت.

روىٰ أبو داود في مسنده، عن أبي هريرة، مرفوعاً عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، قال: ما من أحد يسلّم عليّ إلاّ ردّ اللّه روحي حتّىٰ أردّ السلام[1].

وذكر إبن قدامة من رواية أحمد أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه وآله قال: ما من أحد يسلّم عليّ عند قبري إلاّ ردّ اللّه عليّ روحي[2]. وذكره بعض أكابر مشايخ البخاري.

وفى خبر النسّائي وغيره، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، قال: إنّ للّه ملائكة سيّاحين فى الأرض، يبلغونني من اُمّتي السلام[3].

فعلىٰ هذا لا فرق بين السلام من بعد أو قرب.

وعن أبي هريرة عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: من صلّىٰ عليّ عند قبري سمعته[4].

وعن أبي هريرة، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: من صلّىٰ عليّ عند قبري، وكّل اللّه به ملكاً يبلغني[5].

وروىٰ إبن أوس مرفُوعاً عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة، فإنّ صلاتكم معروضة عليّ، فقالوا: كيف تعرض عليك وأنت رميم؟ فقال: إنّ اللّه حرّم على الأرض لحُوم

---

(١) سنن أبي داود ٢: ٢١٨ برقم: ٢٠٤١، باب زيارة القبور. وكنز العمّال ١: ٤٩١ برقم: ٢١٦١.

(٢) كنز العمّال ١: ٤٩٨ - ٤٩٩ برقم: ٢٢٠٠.

(٣) كنز العمّال ١: ٤١٣ برقم: ١٧٤٧.

(٤) كنز العمّال ١: ٤٩٨ برقم: ٢١٩٧ و٢١٩٨.

(٥) كنز العمّال ١: ٤٩٨ برقم: ٢١٩٦.

الأنبياء[1]. وهذا يعمّ الأنبياء.

وعن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: علمي بعد مماتي كعلمي في حياتي[2].

وعن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: أنّ اللّه وكّل ملكاً يسمعني أقوال الخلائق، يقوم علىٰ قبري، فلا يصلّي عليّ أحد إلاّ قال: يا محمّد فلان بن فلان يصلّي عليك، صلّوا عليّ حيثما كنتم، فإنّ صلاتكم تبلغني[3].

وعن أُمّ سلمة، قالت: رأيت النبيّ صلّى اللّه عليه وآله والتراب علىٰ شيبته، فسألته، فقال: شهدت قتل الحسين عليه السلام[4].

وعن ابن عبّاس أنّه رأى النبيّ صلّى اللّه عليه وآله في المنام، وفي يده قارورة، فسألته ما هذا؟ فقال: دم الحسين[5].

وقال المبارزي: نبيّنا حيّ بعد وفاته.

---

(١) كنز العمّال ١: ٤٨٨ برقم: ٢١٤١ و٤٩٩ برقم: ٢٢٠٢.

(٢) كنز العمّال ١: ٥٠٧ برقم: ٢٢٤٢.

(٣) كنز العمّال ١: ٤٩٤ برقم: ٢١٨١.

(٤) تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ٢٦٣. رواه باسناده عن سلمىٰ قالت: دخلت علىٰ أُمّ سلمة وهي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله في المنام وعلىٰ رأسه ولحيته التراب، فقلت: ما لك يا رسول اللّه؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفاً.

(٥) تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ٢٦١. رواه باسناده عن ابن عبّاس، قال: رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله فيما يرى النائم بنصف النهار، أغبر أشعث وبيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول اللّه ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين وأصحابه، لم أزل منذ اليوم ألتقطه.

وقال شيخ الشافعي[1]: نبيّنا حيّ بعد وفاته، يستبشر بطاعات اُمّته، ويحزن من معاصيهم، وتبلغه صلاة من يصلّي عليه.

وعن عليّ عليه السلام أنّ أعرابيّا أتا الىٰ قبر النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، فقال: يا رسول اللّه إستغفر لي، فنودي من داخل القبر ثلاث مرّات: قد غفر اللّه لك[2].

وعن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: انّ أعمالكم تعرض عليّ[3].

والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصىٰ، وفيها دلالة علىٰ أنّه يخاطب في مماته كما يخاطب في حياته، بل يظهر من بعض الأخبار[4] أنّ كلامه يسمعه بعض الخواصّ.

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوّة، عن سعيد بن المسيّب، قال: لقد كنت في مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، فما يأتي وقت صلاة إلاّ سمعت الأذان من القبر[5].

وأخرج ابن سعد في الطبقات، عن سعيد بن المسيّب أنّه كان يلازم المسجد أيّام الحرّة، فإذا جاء الصبح سمع أذاناً من القبر الشريف[6].

---

(١) هو الشيخ أبو منصر عبد القاهر بن طاهر البغدادي، كما سيأتي.

(٢) راجع كنز العمّال ١: ٥٠٦.

(٣) كنز العمّال ١٥: ٧٥١ - ٧٥٢، برقم: ٤٢٩٧٩.

(٤) في «ن»: الروايات.

(٥) دلائل النبوّة: ٤٩٦ ح ٤، الفصل الحادي والثلاثون ما وقع من الآيات بوفاته صلّى اللّه عليه وآله، طبع مكّة المكرّمة.

(٦) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥: ١٣٢، روى عن أبي حازم، قال: سمعت سعيد بن المسيّب يقول: لقد رأيتني ليالي الحرّة وما في المسجد أحد من خلق اللّه غيري، وانّ أهل الشام ليدخلون زمراً زمراً يقولون: اُنظروا إلىٰ هذا الشيخ المجنون، وما يأتي وقت صلاة إلاّ سمعت

وأخرج زبير بن بكّار[١] في أخبار المدينة، عن سعيد بن المسيّب، قال: لم أزل أسمع الأذان والإقامة من قبر رسول الله أيّام الحرّة، حتّىٰ عاد الناس[٢].

وأخرج الدارمي في مسنده، عن مروان، عن سعيد بن عبد العزيز أنّه كان يعرف وقت الصلاة بهمهمة تخرج من القبر[٣].

الفصل الثاني

(في حياة سائر الشهداء والأنبياء)

قد سبق أنّ الأرض لا تأكل لحومهم[٤].

قال البيهقي في كتاب الإعتقاد[٥]: ان الأنبياء بعد ما قبضوا ردّت إليهم

أذاناً فى القبر، ثمّ تقدّمت فأقمت فصلّيت وما في المسجد أحد غيري.

(١) في «ن» و«ط»: زيد، والصحيح ما أثبتناه في المتن، وهو الزبير بن بكّار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، كان ثقة ثبتاً عالماً بالنسب، عارفاًبأخبار المتقدّمين وسائر الماضين وهو من أهل المدينة، ولي القضاء بمكّة، وله مصنّفات كثيرة، منها: أنساب قريش وأخبارها، وأخبار العرب وأيّامها، ونوادر المدنيين، وأخبار المدينة وغيرها، وتوفّي سنة ستّ وخمسين ومائتين، وقد بلغ أربعاً وثمانين سنة، راجع مصادر ترجمته الى كتاب معجم المؤلّفين ٤: ١٨٠.

(٢) لم أظفر على الكتاب.

(٣) سنن الدارمي ١: ٥٦ - ٥٧ برقم: ٩٣، باب ما أكرم الله تعالىٰ نبيّه صلّى الله عليه وآله بعد موته، قال: أخبرنا مروان بن محمّد، عن سعيد بن عبد العزيز، قال: لمّا كان أيّام الحرّة لم يؤذن في مسجد النبيّ صلّى الله عليه وآله ثلاثاً، ولم يقم، ولم يبرح سعيد بن المسيّب من المسجد، وكان لا يعرف وقت الصلاة إلاّ بهمهمة يسمعها من قبر النبيّ صلّى الله عليه وآله.

(٤) تقدّم في الفصل الأوّل من الخاتمة، عن ابن اوس عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: انّ الله حرّم على الأرض لحوم الأنبياء.

(٥) هو كتاب الإعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد، للحافظ أحمد بن الحسين بن علي بن عبد

أرواحهم، فهم أحياء شهداء.

وقال القرطبي في التذكرة[1]: الموت ليس عدماً محضاً، يدلّ علىٰ ذلك أنّ الشهداء أحياء، فالأنبياء بالأولىٰ[2]، وقد صحّ أنّ الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وانّ النبيّ صلّى اللّه عليه وآله إجتمع بالأنبياء ليلة الأسراء في البيت المقدس وفي السماء.

وقال الأُستاد أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي[3] شيخ الشافعي: إنّ الأنبياء لا تبلىٰ أجسادهم، ولا تأكل الأرض منهم شيئاً،

اللّه البيهقي الشافعي الفقيه، كانت ولادته سنة ٣٨٤، وتوفّي سنة ٤٥٨، وله تصانيف كثيرة، أشهرها السنن الكبرىٰ المعروف بسنن البيهقي، ومن تصانيفه أيضاً كتاب ما ورد في حياة الأنبياء بعد وفاتهم. راجع كشف الظنون ٥: ٧٨.

(١) تذكرة القرطبي هو للشيخ المحقّق شمس الدين محمّد بن أحمد بن فرح الأنصاري الاندلسي المتوفّىٰ سنة ٦٧١، وهو كتاب مشهور في مجلّد ضخم، جمعه من كتب الأخبار والآثار ما يتعلّق بذكر الموت والموتى والحشر والجنّة والنار والفتن والإشراط، وبوّب أبواباً، وجعل عقيب كلّ باب فصلاً يذكر فيه ما يحتاج اليه من بيان غريب وايضاح مشكل، وسمّاه التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة. راجع كشف الظنون ١: ٣٩٠.

(٢) في «ن»: أولىٰ.

(٣) هو الاستاذ أبو منصور عبد القاهر بن محمّد البغدادي الفقيه الشافعي الأُصولي الأديب، كان ماهراً في فنون عديدة. ذكره الحافظ عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي في سياق تاريخ نيسابور [٥٤٥] وقال: ورد مع أبيه نيسابور، وكان ذا مال وثروة، وأنفقه على أهل العلم والحديث ولم يكتسب بعلمه مالاً، وصنّف في العلوم، وأربىٰ علىٰ أقرانه في الفنون، ودرّس في سبعة عشر فنّاً، وكان قد تفقّه علىٰ أبي إسحاق الاسفرابيني، وجلس بعده للإملاء في مكانه بمسجد عقيل فأملىٰ سنين، واختلف اليه الأئمّة فقرؤوا عليه. وتوفّي سنة تسع وعشرين وأربعمائة بمدينة اسفرائن، ودفن الى جانب شيخه الأُستاذ أبي اسحاق. راجع وفيات الأعيان لابن خلّكان ٣: ٢٠٣.

ولقد التقىٰ نبيّنا صلّى اللّه عليه وآله مع إبراهيم وموسى بن عمران عليهما السلام.

وعن أنس، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه مرّ بقتلىٰ بدر فكلّمهم، فقال له أصحابه: كيف تكلّم أجساداً لا أرواح فيها؟ فقال: لستم أسمع منهم لكنّهم لا يتكلّمون[١].

وعن أبي هريرة، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه مرّ بابراهيم يصلّي، وبموسى يصلّي[٢]، وفي حديث المعراج أنّه مرّ بكثير من الأنبياء يصلّون[٣].

وعن عتبة[٤] وأبي الفضل، عن ابن عبّاس أنّ الحواريين قالوا لعيسى: أحي لنا يحيى بن زكريّا، حتّىٰ ننظر إلىٰ وجهه، فخرج معهم وأحياه، واذاً نصف شعره أبيض، وقد كان أسوداً، فقال: لمّا نوديت زعمت أنّ القيامة قد قامت، فقال عيسى: أتريد أن أسأل اللّه أن يردّك إلى الدنيا؟ فقال: إن مرارة الموت لم تخرج من حلقي بعد.

وقال الحافظ شيخ السنّة أبو بكر البيهقي في الإعتقاد: إنّ الأنبياء ترد إليهم أرواحهم بعد ما يقبضون، فهم أحياء عند ربّهم كالشهداء، وقد رأى النبيّ صلّى اللّه عليه وآله جماعة منهم، وصلّوا خلفه، وقد أخبر هو عن ذلك، وخبره صدق، أنّ صلاتنا تعرض عليه، وانّ الأرض لا تأكل من لحمه.

---

(١) راجع بحار الانوار ١٩: ٣٤٢.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٨٤٥ برقم: ١٦٥.

(٣) صحيح مسلم ١: ١٤٩، حديث الاسراء.

(٤) في «ن»: قتيبة.

وعن الشيخ عفيف الدين أنّ الأولياء من جملة خصائصهم رؤيا الأنبياء.

وقال الشيخ تقى الدين السبكي: إنّ حياة الأنبياء والشهدآء في القبور كحياتهم في الدنيا، ويدلّ علىٰ ذلك صلاة موسى وجماعة من الأنبياء ليلة الأسراء.

وروى الثقات عن أنس مرفوعاً، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: انّ الأنبياء أحياء في قبُورهم[١].

وعن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: مررت بقبر موسى بن عمران عليه السلام فرأيته يصلّي[٢].

وقال اللّه تعالىٰ في حقّ من قتلوا في سبيل اللّه: ﴿أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٣] إلىٰ غير ذلك من الأخبار.

الفصل الثالث

(في حياة سائر الموتىٰ)

روىٰ إبن عبّاس مرفُوعاً عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: ما من أحد يمرّ بقبر أخيه المؤمن فيسلّم عليه إلاّ عرفه وردّ عليه السلام[٤].

وفي رواية: ما من أحد يمرّ بقبر رجل يعرفه إلاّ عرفه وردّ عليه السلام[٥].

---

(١) كنز العمّال ١١: ٤٧٤ - ٤٧٥.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٨٤٥ برقم: ١٦٥.

(٣) آل عمران: ١٦٩.

(٤) كنز العمّال ١٥: ٦٤٦ برقم: ٤٢٥٥٦.

(٥) كنز العمّال ١٥: ٦٥٧ برقم: ٤٢٦٠٢.

ونقل أبو عبد اللّه البخاري[١] أنّ الشهداء وسائر المؤمنين إذا زارهم المسلم وسلم عليهم، عرفوه وردّوا عليه السلام.

وروى الثعلبي في تفسيره، وابن المغازلي الواسطي في المناقب: أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وأصحابه لمّا حملهم البساط، وصلوا إلىٰ موضع أهل الكهف، فقال: سلّموا عليهم، فسلّموا عليهم، فلم يردّوا، فسلّم النبيّ صلّى اللّه عليه وآله عليهم، فقالوا: وعليك السلام ورحمة اللّه وبركاته[٢].

وأخرج الشيخ ابن حيارة[٣] فى كتاب الوصايا، عن قيس، قال: قال

---

(١) هو أبو عبد اللّه محمّد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي، ولد ثالث عشر شوّال سنة (١٩٤) هـ.ق وتوفّي ليلة عيد الفطر سنة (٢٥٦) وهو صاحب كتاب الصحيح المعروف المتداول بين الأيدي، وكتابه يعدّ من الصحاح الستّة.

(٢) مناقب علي بنّ أبي طالب عليه السلام: ٢٣٢ - ٢٣٤ للفقيه الحافظ ابن المغازلي الشافعي، ورواه فيه باسناده عن أنس بن مالك، قال: أُهدي لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله بساط من بهندف، فقال لي: يا أنس أبسط، فبسطته، ثمّ قال: أُدع العشرة، فدعوتهم، فلمّا دخلوا أمرهم بالجلوس على البساط.

ثمّ دعا عليّاً، فناجاه طويلاً، ثمّ رجع علي فجلس على البساط، ثمّ قال: يا ريح احملينا، فحملتنا الريح، قال: فاذا البساط يدفّ بنا دفّاً، ثمّ قال: يا ريح ضعينا، ثمّ قال: تدرون في أيّ مكان أنتم؟ قلنا: لاٰ، قال: هذا موضع أصحاب الكهف والرقيم، قوموا فسلّموا علىٰ إخوانكم.

قال: فقمنا رجلاً رجلاً فسلّمنا عليهم، فلم يردّوا علينا، فقام علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: السلام عليكم معاشر الصدّيقين والشهداء، قال: فقالوا: عليك السلام ورحمة اللّه وبركاته، قال: فقلت: ما بالهم ردّوا عليك ولم يردّوا علينا؟ فقال علي عليه السلام: ما بالكم لم تردّوا على اخواني؟ فقالوا: إنّا معاشر الصديقين والشهداء لاٰ نكلّم بعد الموت إلاّ نبيّاً أو وصيّاً الحديث.

(٣) كذا في «ط» وفي «ن»: ابن ميان - راجع كشف الظنون ٤: ٧١٠ - ٧١٢.

النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: من لم يوص، لم يؤذن له بالكلام مع الموتىٰ، قيل: يا رسول اللّه الموتىٰ يتكلّمون؟ فقال: نعم ويتزاورون[١].

وعن أبي هريرة، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه رأىٰ جعفراً يطير في الجنّة[٢].

ونقل أبو بكر محمّد بن عبد اللّه الشافعي أنّ عيسىٰ لمّا دفن مريم، قال: السلام عليك يا أمّاه، فأجابته من جوف القبر: وعليك السلم حبيبي وقرّة عيني، فقال لها: كيف وجدت طعم الموت؟ فقالت: والذي بعثك بالحقّ ما ذهبت مرارة الموت من حلقي ولا خشونته من لساني.

وروى الحاكم عن سالم بن أبي حفصة قال: توفّي أخ لي، فوضعته في القبر، وسوّيت عليه التراب، ثمّ وضعت اُذني علىٰ لحده، فسمعت قائلاً يقول له: من ربّك؟ فسمعت أخي يقول بصوت ضعيف: ربّي اللّه، فقال له: وما دينك؟ فسمعت أخي يقول بصوت ضعيف: ديني الإسلام، فسمعته يقول له: ومن نبيّك؟ فسمعته يقول بصوت ضعيف: محمّد نبيّي، فسمعته يقول له: نم نوم العروس، وسمعت الملك الآخر يقول له أبشر بروح وريحان وربّ غير غضبان[٣].

وروي في الأخبار، عن عمر بن الخطّاب أنّه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: ما من ميّت يموت، يوضع علىٰ سريره، فيخطىء به ثلاث خطوات، إلاّ ينادي بنداء يسمعه ما شاء اللّه من الخلائق غير

---

(١) كنز العمّال ١٦: ٦١٩ - ٦٢٠ برقم: ٤٦٠٨٠ و٤٦٠٨٦ عن أبي الشيخ في الوصايا عن قيس بن قبيصة.

(٢) بحار الأنوار ٢٢: ٢٧٣ وغيره.

(٣) كنز العمّال ١٥: ٦٠٥ - ٦٠٦.

الثقلين، فيقول: يا إخوتاه، يا خدماه، يا حملة نعشاه، لاٰ تغرّنّكم الدنيا كما غرّتني، ولاٰ يلعبنّ بكم الزمان كما لعبت بي، خلّفت ما جمعت لورثتي، ولم يحملوا من خطيئتي شيئاً، والديّان يحاسبني، وأنتم تشيّعوون جنازتي، ثمّ تدعونني في لحدي.

وزيد في آخره: ثمّ تسلّمونني إلىٰ منكر ونكير، واندامتاه واندامتاه واندامتاه[1].

وعن الفقيه الزاهد إسماعيل بن الحسن، عن عمر بن الخطّاب أنّه دخل المقابر، فنادىٰ يا أهل المقابر الأموال قد قسّمت، والدور قد سكنت، والأزواج قد نكحت، فهذا خبر ما عندنا، فاخبرونا ما عندكم، قال[2]: فهتف به هاتف، وهو ينادي ويقول: يا ابن الخطّاب وجدنا ما عملنا ربحاً، وما خلفنا خسراناً، والجبّار سألنا عن جميع ما فعلنا، ثمّ سكت[3].

وعن كعب، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: لاٰ يمرّ أحد بالمقابر إلاّ وينادي به أهل القبور: يا غافلاً لو علمت بما نحن فيه لذاب جسمك، ولحمك، كما يذوب الملح بالماء[4].

وعن الضحّاك، عن إبن عبّاس، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: الموتىٰ ينادُون في كلّ يوم ثلاث مرّات من قبورهم: يا أهل الديار عجّلوا عجّلوا، فإنّما نحن محبوسُون من أجلكم، الرحيل الرحيل، لاٰ تحبسوا إخوانكم، خرّبوا ما بنيتم، واتركوا ما جمعتم، نورتم البيوت،

---

(١) كنز العمّال ١٥ : ٥٩٦ برقم : ٤٢٣٥٧.

(٢) في «ط» : فقال.

(٣) راجع كنز العمّال ٣ : ٦٩٧ برقم : ٨٤٩٥.

(٤) راجع كنز العمّال ١٥ : ٧٥٧.

وأظلمتم القبُور، ووسعتم[١] البيُوت، وضيّقتم القبور، وذكروا غير ذلك[٢].

وعن أبي عبد اللّه محمّد[٣] بن عمر، يروي عن عمر، عن النبي صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: ما من يوم يمضي إلاّ وملك يهتف: يا أهل القبور من تغبطون اليوم؟ فيقولون: نغبط أهل المساجد، يصلّون في مساجدهم، ويصومون ويصدّقون، ولا نقدر نصلّي ونصوم ونتصدّق[٤].

وعن محمّد بن أبي عبد اللّه[٥] بن الفضل، عن محمّد بن كعب، قال: مرّ عيسى عليه السلام علىٰ قبر، فرأى فيه عذابا شديداً، فدعى اللّه حتّىٰ أحياه، فقال له عيسىٰ: فلم تعذّب؟ قال: كنت جالساً في سوق مصر، وقد أكلت شيئاً، فأخذت عودة من حزمة شوك لأُخلّل أسناني بها، ومتّ منذ أربعة آلاف سنة وأنا في عذابها، ثمّ قال: يا روح اللّه مذ أربعة آلاف سنة ومرارة الموت باقية في حلقي، فقال عيسى: اللهمّ يسّر علينا سكرات الموت.

وعن وهب بن منبة أنّ عيسى عليه السلام مرّ علىٰ نهر فيه ماء عذب، وحوله خابية[٦]، كلّما يضع[٧] فيها من ذلك الماء يصير مالحاً، فقال: إلهي

---

(١) في «ن»: وبنيتم.

(٢) راجع كنز العمّال ١٥: ٦٢٦.

(٣) في «ط»: عن عبد اللّه بن محمّد.

(٤) راجع كنز العمّال ١٥: ٦٣٥.

(٥) في «ن»: أبي محمّد بن عبد اللّه.

(٦) في «ط»: جابية، والجابية جمع جواب: الحوض الذي يجبىٰ فيه الماء للإبل. والخابية: الجرّة العظيمة.

(٧) في «ن»: يوضع.

ما خبر هذا الماء المالح؟ فأذن اللّه للخابية بالكلام، فقالت: إنّي كنت آدميّاً، فبقيت في قبري ثلاث مائة سنة، ثم جاء اللبّان[١]، فضرب ترابي لبناً، وبنيت في قصر ثلاث مائة سنة، ثمّ خرب القصر، فبقيت تراباً مائتي سنة، [ثمّ جاء شخص فجعلني حبّاً، ووضعني سقاية على شاطىء هذا النهر من مائة سنة][٢] وكّل ما يجعل فيّ يكُون مالحاً؛ لما فيّ من مرارة نزع الروح، وأنا معذّب منذ متّ؛ لأنّي أخذت أُبرة من جارية[٣] وما رددتها حتّىٰ متّ، فما أدري أنّ عذابي أشدّ أم مرارة الموت، فقال عيسى: اللّهمّ يسّر علينا الموت، ونجّنا من عذاب القبر. الحديث[٤]، وقد ذكرنا من مضمونه محلّ الحاجة.

وعن عائشة، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: انّ أشدّ الأحوال على الميّت حين يدخل الغسّال داره لغسله، فيخرج خواتيم الشباب[٥] من أصابعهم، وينزع قميص العروس من بدنها، ويرفع عمائم المشايخ عن رؤوسهم، فعند ذلك يقول بصوت يسمع الخلائق غير الثقلين: يا غسّال باللّه عليك إنزع ثيابي بالرفق، فإنّي الساعة استرحت من مخاليب ملك الموت، فإذا صبّ الماء صاح كذلك.

فإذا رفع عن المغتسل، وشدّ مواضع قدميه بالكفن، يقول: باللّه عليك

---

(١) في «ن»: لبّان.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقطة عن «ط».

(٣) في «ن»: جاري.

(٤) راجع قصص الأنبياء للثعلبي: ٣٩٣ - ٣٩٤.

(٥) في «ن»: خواتم الشبان.

لاٰ تشدّ رأس كفني لأرىٰ وجه[1] أهلي وأولادي وعروسي التي كنت أُحبّها، وأنظر إلىٰ وجه أقربائي، وأحبّائي، وإخواني، وجيراني، ورفقائي، فإنّ هذه آخر رؤياي.

فإذا خرج من الدار، نادىٰ باللّه عليكم يا حملة نعشي لاٰ تعلجوا بي، حتّىٰ أُودّع داري التي بنيتها، وزيّنتها ونقشتها بأنواع النقوش، وأهلي ومالي وأولادي، فإنّ هذا خروج لاٰ مردّ بعده إلىٰ يوم القيامة.

فإذا رفعت الجنازه، نادىٰ يا حملة نعشي باللّه عليكم لاٰ تعجلوا بي، حتّىٰ أسمع أصوات أولادي الذين يعولون خلف جنازتي، وعروسي التي تبكي عليّ، ووالدي الذي تقوّس ظهره، ووالدتي التي شدّت وسطها بالمنديل لمفارقتي، وقد نشرت شعرها، وضربت صدرها، وتقوّس ظهرها، وابيضّت عينها لفقدي.

فإذا صلّي على الجنازة[2]، ورفع من الصلاة[3]، ورجع بعض أصدقائه، يقول: يا إخوتاه كنت أعلم أنّ الميّت ينسوه[4] الأحياء، لكن لاٰ بهذه السرعة، [رجعتم قبل أن تدفنوني ونسيتموني بهذه السرعة][5] وجسمي بعد بين أظهركم.

فإذا وضع في لحده، ووضع عليه التراب، ينادي وا ورثتاه، تركت لكم الكثير، فلا تنسوني، تصدّقوا عنّي علىٰ فقرائكم، ولو بكسر خبز

---

(١) في «ن»: ليرىٰ وجهي.

(٢) في «ن»: جنازته.

(٣) في «ن»: المصلّىٰ.

(٤) في «ن»: ينساه.

(٥) ما بين المعقوفتين من «ن» وساقطة عن «ط».

محترق، وعلّمتكم[1] القرآن والآداب، فلا تنسوني من الدعاء، فإنّي صرت محتاجاً، كفقرائكم علىٰ أبوابكم، ومحتاجا إلىٰ دعائكم، كصاحب حاجتكم إلىٰ ساداتكم[2].

ومما يدلّ علىٰ بقاء حياتهم في قبُورهم، ما دلّ علىٰ أنّ الميّت بعد ما يسأل، يفتح له باب إلى الجنّة، إن كان من أهل الخير، أو إلى النار إن كان من أهل الشرّ، وبقاء اللذّات والألم ظاهر في بقاء أثر الحياة.

وعن عبد اللّه بن عمر، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: إذا مات أحدكم، عرض عليه مقعده بالغدوة والعشيّ، إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشرّ[3].

وعن أبي هريرة، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: إنّ الميت يسأل في قبره عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، فإن أجاب بالحقّ قيل له: نم نومة العروس، وإلاّ فتح له باب إلىٰ قبره يكُون معذّباً إلىٰ يوم القيامة[4].

وعن البرّاء بن عازب، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، قال: يأتيه ملكان يجلسانه، ثمّ ذكر أنّهما يسألانه، فإن أجاب بحقّ، فتح له باب إلى الجنّة، فيأتيه من روحها وطيبها، وإلاّ يفتح له باب إلى النار، فيأتيه من حرّها

---

(١) في «ط»: وعلّمت لكم.

(٢) راجع كنز العمّال ١٥: ٧٥٢ برقم: ٤٢٩٨١.

(٣) سنن الترمذي ٣: ٣٨٤ برقم: ١٠٧٢. رواه باسناده عن ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: إذا مات الميّت عرض عليه مقعده بالغداة والعشيّ، فان كان من أهل الجنّة، فمن أهل الجنّة. وان كان من أهل النار، فمن أهل النار، ثمّ يقال: هذا مقعدك حتّى يبعثك اللّه يوم القيامة. ورواه في كنز العمّال ١٥: ٦٤١ برقم: ٤٢٥٢٩.

(٤) سنن الترمذي ٣: ٣٨٣ برقم: ١٠٧١. وكنز العمّال ١٥: ٦٣٢ برقم ٦٣٢.

وسمومها[1].

إلىٰ غير ذلك من الأخبار الكثيرة الدالّة علىٰ أنّهم في قبورهم يتلذّذون ويتألّمون، وهذه من توابع الحياة ولوازمها، فكيف كان فقد بلغت هذه الأخبار فوق التواتر، وبعد عموم قدرة الفاعل المختار، لاٰ بعد ولاٰ غرابة في مداليلها.

وما دلّ من الكتاب والسنّة علىٰ أنّ الإحياء يكون عند النفخ[2] في الصور، فقد بيّنا أنّ المراد: إمّا الحياة على النحو المعهود من تلك الأشخاص[3] الخاصّة بعينها، أو يرادُ أنّه يوم البروز والظهور علىٰ عيون الأشهاد.

وإذا تبيّن بهذه الأخبار المتواتره، أنّهم يسمعون ويعقلون ويعرفُون من يخاطبهم، صحّ لنا أن نخاطبهم مخاطبة الأحياء، ونلتمس دعاءهم ونقسم عليهم بالأقسام في أن يكونوا شفعاء لنا في الدنيا والآخرة[4]؛ لأنّ الشفاعة أظهر فرديها أنّها دعاء خاصّ، واختصاص الخواصّ بها باعتبار قبولها.

فلو قال قائل لنبيّ، أو وصيّ، أو عبد صالح: إشفع لي، أو ادع لي، أو أغثني، أو أعنّي أي بدعائك، أو قال: إقض لي حاجتي، أو ارزقني مالاً، وادفع الضرر عنّي، ونحو ذلك ولاٰ يريد سوى التوسّط بالدعاء وسؤال اللّه، لم يكن عليه شيء.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٤: ٢٨٦ - ٢٩٦، وكنز العمّال ١٥: ٦٢٦ - ٦٢٩ برقم: ٤٢٤٩٤.

(٢) في «ن»: وقت النفخ.

(٣) في «ط»: الأشكال.

(٤) في «ن»: وفي يوم القيامة.

وقد وقع كثير من ذلك في كلام الصحابة والتابعين، بل ربّما كان هذا التعبير أولىٰ؛ للدلالة علىٰ قرب منزلة العبد عند مولاه واحترامه، فتكون شهادة له بنبوّته، وقرب منزلته.

وليس علىٰ من قال للعبد المقرّب، أو إلى الخادم المقرّب: اقض حاجتي، بمعنىٰ إسع لي في قضائها عند مولاك، بأس، بل هو أنسب في التواضع إلى المولىٰ.

وأمّا من قال مثل ذلك معتقداً أنّ الأنبياء والأوصياء بأيديهم الأمر أصالة، يفعلون ما يشاؤون، فعليه لعنة اللّٰه والملائكة والناس أجمعين.

وانّي طفت بشطر من بلاد المسلمين، وخالطت كثيراً منهم منذ سنين، فلم أرَ أحداً يعتقد أنّ في الوجود فاعلاً مختاراً[1] سوى الفاعل المختار العزيز الجبّار تبارك وتعالىٰ، وذلك مراد الأعوام[2] في خطاباتهم، فضلاً عن العلماء الأعلام، على أنّهم لا يمكنهم كشف الحال، وإن كان مقصدهم ذلك على الإجمال، فنسأل اللّٰه وإيّاكم طريق السداد والنجاة من أهوال يوم المعاد.

---

(١) في «ط»: فاعل مختار.

(٢) في «ن»: العوام.

الباب الثاني

(في زيارة القبور)

وفيه فصلان:

الفصل الأوّل

(في زيارة النبيّ صلّى اللّه عليه وآله)

روى الدارقطني في السنن وغيرها والبيهقي، وغيرهما من طريق موسى بن هلال العبدي، عن عبد اللّه العمري، عن نافع، عن إبن عمر، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: من زار قبري وجبت له شفاعتي[١].

وعن نافع، عن سالم، عن ابن عمر مرفوعاً، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: من جاءني زائراً ليس له حاجة إلاّ زيارتي، كان حقّ عليّ أن أكُون له شفيعاً يوم القيامة[٢].

وعن ليث، عن مجاهد[٣]، عن ابن عمر، مرفوعاً، قال: من حجّ وزار قبري بعد وفاتي، كان كمن زارني في حياتي[٤].

وروي عن عائشة أيضا، وعن نافع، عن إبن عمر، عن النبيّ

---

(١) سنن البيهقي ٥: ٢٤٥، وكنز العمّال ٥: ١٣٥ برقم: ١٢٣٧١ و١٥: ٦٥١ برقم: ٤٢٥٨٣. وراجع مصادر الحديث الغدير ٥: ٩٣ للعلاّمة الأميني.

(٢) احياء العلوم ١: ٢٤٦، ووفاء الوفاء ٢: ٣٩٦. وراجع الغدير ٥: ٩٧.

(٣) في «ط»: ومجاهد.

(٤) سنن البيهقي ٥: ٢٤٦، وكنز العمّال ٥: ١٣٥ برقم: ١٢٣٦٨ و ١٥: ٦٥١ برقم: ٤٢٥٨٢، وشفاء السقام: ١٦ - ٢١. وراجع الغدير ٥: ٩٨.

صلّى اللّه عليه وآله، قال: من زارني كنت له شهيداً أو شفيعاً[1].

وعن نافع، عن إبن عمر، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، قال: من حجّ ولم يزرني، فقد جفاني[2].

وعن أبي هريرة مرفوعاً، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، قال: من زارني بعد موتي، فكأنّما زارني حيّاً[3].

وعن أنس مرفوعاً، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، قال: من زارني في المدينة، كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة[4].

وعن أنس مرفوعاً، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله قال: من زارني ميّتاً كمن زارني حيّاً، ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة[5].

وعن إبن عبّاس، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله قال: من زارني في مماتي، كان كمن زارني في حياتي، ومن لم يزرني فقد جفاني[6].

---

(١) سنن البيهقي ٥: ٢٤٥. وكنز العمّال ٥: ١٣٥ برقم: ١٢٣٧١، ومسند أبي داود الطيالسي ١: ١٢، وشفاء السقام: ٢٢، ووفاء الوفاء ٢: ٣٩٩. وراجع الغدير ٥: ١٠٠ - ١٠١.

(٢) كنز العمّال ٥: ١٣٥ برقم: ١٢٣٦٩، وشفاء السقام: ٢٢، ووفاء الوفاء ٢: ٣٩٨، وراجع الغدير ٥: ١٠٠.

(٣) كنز العمّال ٥: ١٣٥ برقم: ١٢٣٧٢، وشفاء السقام: ٢٦، ووفاء الوفاء ٢: ٤٠٠، وراجع الغدير: ٥: ١٠٢.

(٤) كنز العمّال ١٥: ٦٥٢ برقم: ٤٢٥٨٤، وشفاء السقام: ٢٧، ووفاء الوفاء ٢: ٤٠٠، وراجع الغدير ٥: ١٠٢ - ١٠٤.

(٥) شفاء السقام للسبكي: ٢٨: ووفاء الوفاء للسمهودي ٢: ٤٠٠، وكشف الخفاء ٣: ٢٧٨، وراجع الغدير ٥: ١٠٤.

(٦) شفاء السقام: ٢١، ووفاء الوفاء ٢: ٤٠١، ونيل الأوطار ٤: ٣٢٥ - ٣٢٦، وراجع الغدير ٥: ١٠٤.

وعن عليّ عليه السلام مرفوعاً، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: من زار قبري بعد موتي، فكأنّما زارني في حياتي، ومن لم يزرني فقد جفاني[١].

وعن إبن عبّاس، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، قال: من حجّ وقصدني في مسجدي، كانت له حجّتان مبرورتان[٢].

وروىٰ إبن عساكر، عن علي عليه السلام، قال: من زار قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله كان في جوار رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله[٣].

وعن بكر بن عبد اللّه مرفوعاً، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، قال: من أتى المدينة زائراً لي، وجبت له الجنّة[٤].

وعن كعب الأحبار أنّ عمر لمّا فتح بيت المقدس، قال لي: هل لك أن تسير معي إلى المدينة نزور قبر النبي صلّى اللّه عليه وآله فذهبت معه، فلما دخل بدأ بالمسجد، وسلّم على النبيّ صلّى اللّه عليه وآله[٥].

وفي الموطّأ: أنّ إبن عمر كان يقف عند قبر النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، فيسلّم عليه وعلى أبي بكر وعمر[٦].

---

(١) شفاء السقام: ٢٩، والروض الفائق ٢: ١٣٧، ووفاء الوفاء ٢: ٤٠١، وكنوز الحقائق: ١٤١، وراجع الغدير ٥: ١٠٤ - ١٠٥.

(٢) وفاء الوفاء ٢: ٤٠١، ونيل الاوطار ٤: ٣٢٦، وراجع الغدير ٥: ١٠٦.

(٣) نيل الاوطار **للشوكاني** ٤: ٣٢٦ عن ابن عساكر. والغدير ٥: ١٠٨.

(٤) شفاء السقام: ٣٠، ووفاء الوفاء ٢: ٤٠٢، والغدير ٥: ١٠٥.

(٥) راجع كشف الارتياب للعلامة العاملي: ٤٨٠.

(٦) راجع كشف الارتياب: ٤٦٩ - ٤٧٠ عن الموطّأ، ووفاء الوفاء ٢: ٤٠٩.

وسئل نافع هل كان عمر يسلّم علىٰ قبر النبيّ صلّى اللّه عليه وآله؟ فقال: رأيته مائة مرّة أو أكثر يسلّم على النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وعلىٰ أبي بكر[1].

وعن ابن عمر أنّه سنّة السلام من قبل القبلة[2].

ونقل الدارقطني، عن علي عليه السلام أنّه دخل المسجد وسلّم على القبر[3].

وروي عن آل الخطّاب وعن بعض الحفّاظ زيارة النبيّ صلّى اللّه عليه وآله[4].

وكيف كان، فالروايات في استحباب زيارته وشفاعته لزوّاره، داخلة في قسم المتواتر[5]، وعمل الأصحاب[6] والتابعين وأهل البيت أجمعين على ذلك.

قال عياض: زيارة قبر رسول اللّه سنّة، أجمع عليها المسلمون. وروىٰ غيره إجماع المسلمين قولاً وفعلاً على استحباب زيارته، وصرّح بعضهم أنّ شدّ الرحال إليها لا مانع منه[7].

---

(١) راجع كشف الارتياب: ٤٧٠. ووفاء الوفاء ٢: ٤٠٩.

(٢) وفاء الوفاء ٢: ٤٠٩، وكشف الارتياب: ٤٧٠، عن مسند أبي حنيفة.

(٣) راجع الغدير ٥: ١١٠.

(٤) راجع الغدير ٥: ١٣٥ - ١٤١.

(٥) في «ط»: التواتر.

(٦) في «ن»: الصحابة.

(٧) راجع كلمات أعلام المذاهب الأربعة وغيرهم الى الغدير ٥: ١٠٩ - ١٥٦، وكشف الارتياب: ٤٥٩ - ٤٧٤.

وفيما دلّ على استحباب التعظيم، وانّ حرمة الأموات كحرمة الأحياء، كفاية.

الفصل الثاني

(في زيارة سائر القبُور)

قد مرّ في الأخبار الماضية زيارة الصحابة قبري الشيخين[١].

وروى بريدة عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: إنّي نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها[٢].

ولعلّ السرّ ـ واللّه أعلم ـ أنّه في ابتداء[٣] الإسلام كانت زيارة القبُور وتذكار الموتى والقتلىٰ، باعثاً على الجبن عن الجهاد، حتّىٰ إذا قوي الإسلام أمرهم بها.

ونحو ذلك في خبر آخر[٤].

وعن أبي هريرة، أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه وآله زار قبر أُمّه، ولم يستغفر لها، قال: أمرت بالزيارة، ونهيت عن الإستغفار، فزوروا القبور، فإنّها تذكّر الموت[٥].

---

(١) تقدم في صفحة: ١٣٥.

(٢) صحيح مسلم ٢: ٦٧٢ برقم: ١٠٦ / ٩٧٧، ومستدرك الحاكم ١: ٣٧٥، ومصابيح السنّة للبغوي ١: ٥٦٨ برقم: ١٢٣٩، وسنن النسّائي ٤: ٨٩، وراجع الغدير ٥: ١٦٦ - ١٦٩.

(٣) في «ن»: انّه في مبدأ.

(٤) مستدرك الحاكم ١: ٣٧٥، ومجمع الزوائد للهيثمي ٣: ٥٨، وسنن البيهقي ٤: ٧٧.

(٥) صحيح مسلم ٢: ٦٧١ برقم: ١٠٨، ومسند أحمد بن حنبل ١: ٤٤١، وسنن ابن ماجة ١: ٤٧٦، وسنن أبي داود ٢: ٧٢، وسنن البيهقي ٤: ٧٦، وسنن النسّائي ٤: ٩٠ ومستدرك الحاكم ١: ٣٧٦، والترغيب والترهيب ٤: ١١٨، والغدير ٥: ١٦٧.

وعن بريدة أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه وآله إذا خرج إلى المقابر، قال: السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين. رواه مسلم[١].

وعن عائشة أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه وآله كان يخرج إلى البقيع آخر الليل، فيقول: السلام عليكم الخبر. رواه مسلم[٢].

وكيف كان فالأخبار متظاهرة[٣] علىٰ زيارة القبور، ولاٰ حاجة إلىٰ نقل[٤] جميعها. وفي ما ورد[٥] من أنّ حرمة المسلم ميّتاً كحرمته حيّاً[٦]. كفاية. ويدلّ علىٰ ذلك زيارة النبيّ صلّى اللّه عليه وآله والصحابة قبور الشهداء، وذلك أوضح من الشمس في رابعة النهار.

الباب الثالث

(في التبرّك بالقبور ونحوها)

اختلف العلماء من أهل السنّة والجماعة في جواز التبرّك بالقبّور، فمنهم: من أجازه على الكراهيّة[٧].

قال النووي: لاٰ يجوز أن يطاف بقبر النبيّ صلّى اللّه عليه وآله،

---

(١) صحيح مسلم ٢: ٦٧١ برقم: ١٠٤ / ٩٧٥.

(٢) صحيح مسلم ٢: ٦٦٩ برقم: ١٠٢ / ٩٧٤.

(٣) في «ن»: متضافرة.

(٤) في «ن»: لنقل.

(٥) في «ط»: رواه.

(٦) مسند أحمد بن حنبل ١: ٤٤٦.

(٧) في «ن»: كراهة.

ويكره إلصاق البطن[1] والظهر به. وقال: يكره مسّه باليد وتقبيله، بل الأدب أن يبعد عنه، كما لو حضر في حياته[2].

وكلامه[3] ظاهر في أنّ المسّ أبعد من التعظيم وشبهة العبُوديّة.

وذكر إبن عساكر في التحفة، عن إبن عمر أنّه كان يكره مسّ قبر النبيّ صلّى اللّه عليه وآله[4].

ويظهر من بعضهم ندبه واستحبابه.

ونقل عبد اللّه بن أحمد بن حنبل في كتاب العلل والسؤالات، قال: سألت أبي عن الرجل يمسّ منبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، يتبرّك بمسّه وتقبيله، ويفعل بالقبر ذلك رجاء ثواب اللّه، فقال: لا بأس به[5].

وعن إسماعيل[6] أنّ إبن المنكدر[7] يصيبه الصمات، فكان يقوم ويضع خدّه على قبر النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، فعوتب في ذلك، فقال: يستشفى بقبر النبيّ صلّى اللّه عليه وآله[8].

والإستشفاء أعظم من التبرّك.

---

(١) في «ن»: العطن.

(٢) وفاء الوفاء للسمهودي ٢: ٤٤٢ - ٤٤٥ عن النووي.

(٣) في «ط»: والكلام.

(٤) وفاء الوفاء ٢: ٤٤٤ عنه.

(٥) نفس المصدر، وكشف الارتياب: ٤٣٥ عن كتاب العلل والسؤالات.

(٦) هو اسماعيل بن يعقوب التيمي.

(٧) هو محمّد بن المنكدر القرشي التيمي أبو عبد اللّه المدني، أحد الأئمّة الأعلام من التابعين، توفّي سنة (١٣٠) هـ.ق.

(٨) وفاء الوفاء ٢: ٤٤٤.

ونقل عن إبن أبي الصيف[1] والمحبّ الطبري[2] جواز تقبيل قبور الصالحين، وظاهره الندب.

وفي رواية عن إبن حنبل أنّي لا أعرف التمسّح بالقبر، وأمّا المنبر فنعم؛ لما روي أن إبن عمر كان يفعله[3].

ونقل عن مالك التبرّك بالمنبر[4].

وروي عن يحيى بن سعيد شيخ مالك أنّه حين ما أراد الخروج إلى العراق، جاء الى المنبر وتمسّح به[5].

وقال السبكي: منع المسح[6] بالقبر ليس ممّا قام الإجماع عليه، واستدلّ بما رواه يحيى بن الحسن، عن عمر بن خالد، عن أبي نباته، عن كثير بن يزيد، عن المطّلب بن عبد اللّه، قال: أقبل مروان بن الحكم، فإذا رجل ملتزم القبر، فأخذ مروان برقبته وقال: ما تصنع؟ فقال: إنّي لم آت الحجر ولا اللبن، إنّما جئت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، وذكر رواية أحمد، قال: وكان الرجل أبا أيّوب الأنصاري[7].

ونقل هذه الرواية أحمد، وزاد فيها: أنّه قال: سمعت رسول اللّه

---

(١) ابن أبي الصيف اليماني أحد علماء مكّة من الشافعيّة، نقل عنه العلاّمة الأميني في الغدير ٥: ١٥٣ جواز تقبيل المصحف وأجزاء الحديث وقبور الصالحين.

(٢) وفاء الوفاء ٢: ٤٤٤.

(٣) وفاء الوفاء ٢: ٤٤٣، وراجع كشف الارتياب: ٤٣٤ - ٤٤٤، والغدير ٥: ١٥٠.

(٤) راجع الغدير ٥: ١٥٣.

(٥) كشف الارتياب: ٤٣٥ عنه.

(٦) في «ن»: التمسّح.

(٧) مستدرك الحاكم ٤: ٥١٥.

صلّى اللّه عليه وآله يقول: لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله[١].

وعن أبي الدرداء أنّ بلالاً رأى النبيّ صلّى اللّه عليه وآله في المنام، فقال له: ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما لك أن تزورني؟ فانتبه حزيناً خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة، فأتى قبر النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، فجعل يبكي عنده، ويمرّغ وجهه عليه، إلىٰ أن ذكر حضور الحسنين عليهما السلام، وبكاء أهل المدينة، وأذان بلال، فما رأي أكثر باكياً ولا باكية بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله من ذلك اليوم[٢].

وذكر إبن جملة أنّ بلالاً وضع خدّيه على القبر، وانّ ابن عمر كان يضع يده اليمنىٰ عليه[٣].

ونقل عن مالك والزعفراني تحريمه[٤]، وهو الظاهر من كلام أنس بن مالك، حيث قال: ما كنّا نعرفه[٥].

وكيف كان كيف يدّعىٰ أنّ المسّ والتبرّك عبادة؟ مع أنّه أبعد من التعظيم، وقضيّة الذمّ علىٰ عبادة يغوث ويعوق ونسر، ليس من جهة التبرّك، كما نصّ عليه المفسّرون[٦]، حيث قالوا: تبرّكت الآباء، فانتهى

---

(١) شفاء السقام للسبكي: ١١٣، ووفاء الوفاء ٢: ٤١٠ - ٤٤٣، ومجمع الزوائد ٤: ٢.

(٢) شفاء السقام: ٣٩ - ٤٠ عن تاريخ ابن عساكر، وأُسد الغابة ١: ٢٠٨، ووفاء الوفاء ٢: ٤٠٨ و٤٤٣.

(٣) وفاء الوفاء ٢: ٤٤٤، الغديره: ١٥١، وكشف الارتياب: ٤٣٦.

(٤) في «ط»: تمرّغه به.

(٥) وفاء الوفاء ٢: ٤٤٣، وكشف الارتياب: ٤٣٤.

(٦) حول آية ﴿وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾

الأمر[1] إلىٰ عبادة الأبناء، فوقع الذمّ على الأبناء

وتحقيق الحال[2]: أنّ التقبيل علىٰ أنحاء:

منها: تقبيل المحبّة؛ لأنّ من أحبّ شخصاً أحبّ مكانه وثيابه وداره ومزاره، فلا يكون تقبيل الأعتاب[3] والجدران والأبواب إلاّ كتقبيل بعض ثياب الأحباب، فهو من قبيل قوله:

أمر على الديار ديار ليلىٰ   أُقبّل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبّ الديار شغفن قلبي   ولكن حبّ من سكن الديارا[4]

وسئل رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله عن تقبيل اليد، فنهىٰ عن ذلك، إلاّ في تقبيل يد الزوجة للشهوة، ويد الولد للمحبّة.

وعن عليّ عليه السلام، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله بعد فتح خيبر: لولا أن تقول فيك طوائف ما قالت النصارىٰ في عيسى بن مريم، لقلت اليوم فيك مقالاً، لا تمرّ علىٰ ملأٍ من المسلمين إلاّ أخذوا من تراب رجليك، وفضل طهورك يستشفون به، ولكن حسبك أنت منّي وأنا منك[5].

نوح: ٢٣.

(١) في «ط»: الأحوال.

(٢) في «ط»: الحالات.

(٣) في «ن»: العتاب.

(٤) راجع كشف الارتياب: ٤٣٦.

(٥) علل الحديث للحافظ ابن أبي حاتم ١: ٣١٣، ومقتل الحسين للخوارزمي: ٤٥، وشرح نهج البلاغة ٢: ٤٤٩، ومجمع الزوائد ٩: ١٣١، وينابيع المودة: ١٣١، وارجح المطالب: ٤٤٨. ومناقب ابن المغازلي: ٢٣٧.

وروي عن علي عليه السلام أنّه قال: قدم علينا أعرابيّ بعد دفن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله ثلاثة أيّام، فرمىٰ بنفسه على القبر، وحثىٰ من ترابه علىٰ رأسه[1].

وعلىٰ كلّ حال فالذي يظهر بعد تحقيق النظر أنّ التقبيل للمحبّة من قبيل تقبيل الوالدة ولدها[2]، والأرحام بعضهم بعضاً، فلو قبّل بعضهم جدران بعض، أو ثياب بعض، أو مكان بعض، حبّاً وإرادة، لا تعظيماً ولا عبادةً، فليس فيه بأس.

وأمّا قصد التعظيم والإكرام، فليس فيه خروج عن ملّة الإسلام، قصارىٰ ما هناك أنّه عدّه[3] بعض العلماء من الآثام، فليس على الفاعل عن دليل في الردّ عليه من سبيل. وأمّا من فعل مشرعاً، فهو عاص لربّه، حتّىٰ يتوب عن ذنبه.

ولقد نقل عن بعض اُمراء دار السلام بغداد أنّه وشىٰ بعض الوشاة علىٰ جماعة أنّهم يقبلون أعتاب أولياء، فقال: سبحان اللّه في كلّ يوم تقبلون جلد الميتة ـ يعني الفروة[4] ـ التي هو لابسها، ولا تقبّلون أعتاب أبواب الأولياء.

وعلىٰ أيّ تقدير، فالغرض إنّما هو نفي التكفير، ونسبة فعل هٰؤلاء إلىٰ فعل عبدة الأصنام، خروج عن الإنصاف في هذا المقام؛ لأنّ

---

(١) وفاء الوفاء ٢: ٤١٢، والروض الفائق ٢: ١٣٧، والغدير ٥: ١٤٨.

(٢) في «ن»: الوالد لولده.

(٣) في «ط»: عند.

(٤) في «ط»: الفراجة.

الذاهبين إلى الجواز منّا إنّما أخذها[1] عن دليل، لا لمجرّد الإختراع والإبتداع، فإن اشتبهوا عذروا وأُوجروا.

فمن قبّل الحجر الأسود، والركن اليماني، أو باقي الأركان، أو مسّها، أو لزم المستجار، فقد تبرّك بتلك الأحجار؛ لأنها[2] بأمر من العزيز الجبّار، ولو أخطأ الأمر، كان مثاباً أيضاً.

ومن طاف بين المروتين، عملاً بالكتاب وسنّة سيّد الثقلين، لم يكن عليه مؤاخذة في البين.

وطوائف[3] المسلمين بأجمعهم لا يتبرّك منهم أحد بقبر أو غيره، إلاّ بزعم أنّه مأمُور من اللّه، ومن تبرّك قاصداً للعبادة، فهو خارج عن ربقة المسلمين.

ومن البيّن[4] المعلوم أنّه لو أمر المولىٰ عبده بالتبرّك بثياب عبده المقرّب، أو مكانه، أو قبره، فامتثل، كان مطيعاً لمولاه، لا للعبد الذي قرّبه وأدناه.

فأقسمت عليك بمن جمع بيننا في كلمة الإسلام، وألّف بين قلوبنا في هذه الأيّام، أن تنفرد عن الأصحاب إذا ورد عليك الكتاب، وترىٰ نفسك كأنّك الآن خلقت من تراب، وتبذل الجهد في تمييز الخطأ من الصواب، فأنا وأنت[5] لا حاجة بنا إلاّ إليه، ولا اعتماد لنا إلاّ عليه.

---

(١) في «ن»: أخذوا.

(٢) في «ن»: الاّ أنّها.

(٣) في «ط»: طرائق.

(٤) في «ط»: المبيّن.

(٥) في «ن»: فانّه واللّه.

وليس لنا مع الأنبياء والأولياء قرابة نسب، ولا لهم علينا ما نخاف منه[١] الطلب، وإنّما عظّمناهم لأمر اللّه، وأخذنا بأقوالهم عملاً بقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، وما أبرّء نفسي إنّ النفس لأمّارة بالسُوء إلاّ ما رحم ربّي[٢].

وكشف الحال على وجه يدفع ما قيل أو يقال: أنّ التواضع والتبرّك والإكرام والإحترام لما هو معظم عند اللّه[٣] من تعظيم اللّه، كما أنّ قرآنه وبيته ومساجده لانتسابها إليه، إحترام له تبارك وتعالىٰ.

فمن عظّم عيسىٰ ومريم وعزير لعبوديّتهم وقرب منزلتهم، فهو معظّم للّه، كما أنّ من عظّم بيت السلطان وعبيده وغلمانه وأتباعه من حيث التبعيّة، يكون معظّماً للسلطان.

وأمّا من وجدها قابلة للتعظيم وأهلاً له من حيث ذاتها لا لأجل العبُوديّة والتابعيّة، وإن كان غرضه التقريب زلفىٰ، إنّما يكون معظّماً لها.

وانّي منذ ثلاثين حجّة أنظر في حال طوائف المسلمين، محقّيهم ومبطليهم، فلم أجد أحداً يعظّم كتاباً، أو نبيّاً، أو مكاناً، أو عبداً صالحاً من غير قصد قربة من اللّه، أو انتسابه إليه، فقد ظهر أنّ هذا كلّه من باب طاعة اللّه وتعظيمه.

وأمّا عبدة الأصنام والعباد الصالحين، فإنّما أرادوا عبادتهم حقّ العبادة، كانوا[٤] يصلّون لهم، ويصومُون، ويكون ذلك لإستحقاقهم

---

(١) في «ط»: به.

(٢) اقتباس من الآية الشريفة في سورة يوسف: ٥٣.

(٣) في «ن»: عند الملك العلاّم.

(٤) في «ن»: كان.

بربوبيّتهم في أنفسهم، أو إلى التقريب زلفىٰ، فهي عبادة حقيقيّة على الوجهين.

وعلى كلّ من الإحتمالين علىٰ أنّي ذكرت مكرّراً أنّهم عاندوا الرسل، وكذّبوهم، واستهزؤا بهم، وقالوا أيضا: لاٰ طاقة لنا بعبادة اللّه، وإنّما نعبد الأصنام لأنّ عبادتهم مقدُورة لنا، وهم يقرّبونا إلى اللّه زلفىٰ، ولقد نقلت رواية مشتملة علىٰ ذلك المعنى في مقام آخر، فالفرق بين الأمرين واضح ممّا يرىٰ رأي العين.

فبحقّ من شقّ لك السمع والبصر، وسلّطك علىٰ طوائف من الأعراب والحضر، أن توجّه ذهنك الوقّاد، وفكرك النقّاد، صافياً عن ملاحظة العصبيّة والعناد، وتجعل مناظرتنا كأنّها حين حضورنا[١] في المقابر، وانصرافنا عن مرارة الدنيا، طالبين للنعيم الفاخر، وحضورنا يوم فصل القضاء بين يدي جبّار الأرض والسماء، وكأنّ الملائكة بيننا شهُود، وقد حضرنا في اليوم الموعُود، وقد فارقنا الأموال والأولاد، وانقطعنا إلىٰ ربّ العباد، اللهمّ اجمع بيننا بالحقّ، واعصمنا عن الميل عن رضاك إلىٰ رضا الخلق.

الباب الرابع

(في بناء قبور الأنبياء والأولياء وتعميرها وتعلية بنيانها وتشييد أركانها)

لاٰ يخفىٰ علىٰ من أمعن النظر وتتبّع الآثار والسير، أنّ الأزمنة مختلفة الأحوال بالنسبة إلىٰ جميع الأقوال والأفعال، فربّ شيء كان في قديم

---

(١) في «ن»: حلولنا.

الزمان في أعلىٰ مراتب الإستحسان، فانعكس وصار أدنىٰ ما يكون وكان.

وحيث أنّ الشارع حكيم، وبالعباد رحيم، يراعي أحوالهم، ففي مبدأ الإسلام لمّا كان المعاش ضيّقاً، والأسعار متصاعدة في المأكل والملابس، حافظ النبيّ صلّى اللّه عليه وآله والصحابة في أيّامهم على المآكل الجشبة، والملابس الخشنة أو الخلقة؛ لئلا تنكسر قلوب الفقراء، ولتطيب نفوسهم، فانّهم إذا رأو سيّد الجميع لابساً رثّ اللباس، وآكلاً أدنى المأكول، استقرّت نفوسهم، واطمئنت قلوبهم، وارتفعت كدورتهم.

ثمّ لمّا توسّعت أحوال الناس، وقوي الإسلام، ورخصت الأسعار، استعمل الأكثر من الخلفاء أحسن الملبوس، وأكلوا أطيب المأكول، وهذا التعليل مستفاد من الأخبار أيضاً.

وكذلك نقول في أمر بناء المساجد والحضرات، فإنّهم كانوا لا يرفعون البناء، ولا يزيّنون الدور، لمابهم من القصور، فإذا كانت بيوت اللّه وبيوت أنبيائه لم يرفع بناؤها طابت نفوس الفقراء، واطمئنّت قلوبهم.

وأمّا في مثل[1] هذه الأيّام ونحوها، حيث ارتفع بناء الدور، فلا وجه لجعل بيوت اللّه أخفض منها، ومن يرضي بتعلية بيوت الخلق علىٰ بيوت الخالق؟ مع أنّ في تعليتها تعظيماً لشعائر اللّه، وهي البيوت التي أذن اللّه أن ترفع ويذكر فيها اسمه.

---

(١) في «ط»: وأمّا ما في.

والقباب منها؛ لأنها جعلت للعبادة، وليس في بناء القباب تجديد قبر؛ لأنّ القبر باقٍ علىٰ حاله لم يجدّد، وإنّما وضع أساس القبّة بعيداً عنه، ليكون فيها علامة على المزار الذي ندب إلىٰ زيارته العزيز الجبّار، وليكون ظلالاً، فلا يدخل في[1] باب التجديد أصلاً، وكذا صندوق الخشب، فإنّه أجنبيّ عن القبر لا دخل له به.

وعلى كلّ حال فأصل وضع البناء لهذه المقاصد الجليلة لبقاء آثارهم، ليس فيه بأس أصلاً، ولو تركت العلامات ما أمكن التوصّل إلىٰ زيارة أكثر الأموات إلاّ نادراً[2]، فوضع هذا للتمكّن من إدراك فضيلة زيارة القبور، وكلّما كان الشاهد أحكم، كانت دلالته على المشعر أدوم.

وأمّا قضيّة الزينة، فقد روي عن علي عليه السلام أنّ بعض الصحابة أشاروا علىٰ عمر أن يأخذ زينة الكعبة ليقوّي بها جيوش المسلمين، فقال له علي عليه السلام: إنّ الأموال قسّمها النبيّ صلّى اللّه عليه وآله على الفقراء، وكانت في ذلك اليوم الحليّ موجودة ولم يقسّمها، فلا تخالف وضع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، فقال عمر لولاك إفتضحنا، وأبقى الحليّ علىٰ حالها[3]. والأصل في بناء القباب وتعميرها،

---

(١) في «ط»: من.

(٢) في «ن»: لا ندراس آثارهم.

(٣) احقاق الحق ٨: ٢٠٣ عن ربيع الأبرار للزمخشري، وأرجح المطالب للامرتسري: ١٢٢. والخبر فيه هكذا: قيل لعمر: لو أخذت حليّ الكعبة، فجهّزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر، وما تصنع الكعبة بالحليّ، فهمّ بذلك، فسأل عليّاً عليه السلام فقال: إنّ القرآن أُنزل على النبيّ صلّى اللّه عليه وآله والأموال أربعة: أموال المسلمين، فقسّمها بين الورثة في الفرائض. والفيء،فقسّمه علىٰ مستحقّيه. والخمس، فوضعه اللّه حيث وضعه. والصدقات، فجعلها اللّه

ما رواه البناني [1] واعظ أهل الحجاز عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه الحسين، عن أبيه علي عليهم السلام أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله قال له: واللّه لتقتلنّ في أرض العراق، وتدفن بها.

فقلت: يا رسول اللّه ما لمن زار قبورُنا وعمّرها وتعاهدها؟.

فقال: يا أبا الحسن انّ اللّه جعل قبرك وقبر ولديك بقاعاً من بقاع الجنّة، وانّ اللّه جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحنّ إليكم، يعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتها، تقرّباً إلى اللّه تعالىٰ، ومودّة منهم لرسوله.

يا علي من عمّر قبوركم وتعاهدها، فكأنمّا أعان سليمان بن داود علىٰ بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك ثواب سبعين حجّة بعد حجّة الإسلام، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته اُمّه [2]. ونقل نحو ذلك أيضاً في حديثين معتبرين: نقل أحدهما الوزير السعيد بسند، وثانيهما بسند آخر غير ذلك السند [3]. ورواه أيضاً محمّد بن عليّ بن الفضل [4].

حيث جعلها، وكان حليّ الكعبة فيها يومئذ، فتركه اللّه على حاله، ولم يتركه نسياناً، ولم يخف عليه مكاناً، فأقرّه حيث أقرّه اللّه ورسوله، فقال له عمر :لولاك لا فتضحنا، وتركه.

(١) في «ط»: البنائي، وفي البحار والفرحة: التباني.

(٢) بحار الانوار ١٠٠: ١٢٠ - ١٢١ ح ٢٢ عن فرحة الغري: ٧٧.

(٣) بحار الانوار ١٠٠: ١٢١ ح ٢٣- ٢٤.

(٤) فرحة الغري: ٧٦ - ٧٨. رواه باسناده عن محمّد بن داود، عن محمّد بن علي بن الفضل، قال: أخبرنا الحسين بن محمّد بن الفرزدق، قال: حدّثني علي بن موسى الأحول، قال: حدّثنا محمّد بن أبي السري املاءً، قال: حدّثني عبد اللّه بن محمّد البلوي، قال: حدّثنا عمارة بن يزيد، عن أبي عامر التباني واعظ أهل الحجاز، قال: أتيت أبا عبد اللّه جعفر بن محمّد عليهما السلام، وقلت له: يابن رسول اللّه مالمن زار قبره - يعني: أمير المؤمنين عليه السلام - وعمّر

فبعد دلالة هذه الأخبار علىٰ تعمير القباب، واستمرار طريقة الأصحاب، مع أنّها داخلة في المواضع المعدّة للطاعات، كالمساجد، والمدارس، والرباطات،[1] مع أنّ فيها تعظيماً لشعائر الإسلام، وإرغاماً لمنكري دين النبيّ صلّى اللّه عليه وآله.

وبعد أنّ بيّنا أنّ الحكم والمصالح مختلفة[2] باختلاف الاوقات، وذكرنا إعتضاد ذلك بالروايات، لم يبق بحث من جميع الجهات.

وعلىٰ تقدير ثبوت الخطأ في هذا الباب، لاٰ يلزم على المخطىء تكفير ولاٰ عصيان، بل ربّما يثاب؛ لأنّ الخالي من التقصير وان اتصّف بالقصور معذور كلّ العذر، بل هو مأجور.

تربته؟.

قال: ياعامر حدّثني أبي عن أبيه، عن جدّه الحسين بن علي، عن علي عليهم السلام أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله قال له: واللّه لتقتلنّ بأرض العراق وتدفن بها.

قلت: يارسول اللّه مالمن زار قبورنا وعمّرها وتعاهدها.

فقال لي: ياأبا الحسن انّ اللّه تعالى جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنّة، وعرصة من عرصاتها، وإنّ اللّه جعل قلوب نجباء من خلقه، وصفوة من عباده، تحنّ إليكم، وتحتمل المذلّة والأذىٰ، فيعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتها تقرباً منهم الى اللّه ومودّة منهم لرسوله.

أُولئك ياعلي المخصوصون بتفاعتي، الواردون حوضي، وهم زوّاري غداً في الجنّة، ياعلي من عمّر قبوركم وتعاهدها، فكأنّما أعان سليمان بن داود عليهما السلام علىٰ بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك سبعين حجّة بعد حجّة الاسلام، وخرج من ذنوبه حتّىٰ يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه، أبشر وبشّر أولياءك ومحبيّك من النعيم وقرة العين بمالا عين رأت، ولاٰ أذن سمعت، ولاٰ خطر على قلب بشر، ولكن حثالة من الناس يعيرون زوّاركم، كما تعير الزانية بزناها، أُولئك شرار أُمّتي، لاٰ نالتهم شفاعتي، ولاٰ يردون حوضي.

(١) في «ن»: المرابحات.

(٢) في «ن»: تختلف.

فيا أخي لاٰ تعارض المسلمين فيما هم عليه إن لم تركن إلىٰ ما ركنوا إليه، واحملهم على محامل حسان، فإنّا هكذا أمرنا بحمل الإخوان، وفّقنا اللّه وايّاكم، وهدانا وهداكم، واللّه وليّ التوفيق.

وحيث انتهىٰ ما أردنا ذكره، وأحببنا رسمه وسطره، علىٰ غاية من السرعة والإستعجال، وعدم التمكّن لإستيفاء كثير مما يناسب هذا المجال، والإستقصاء لما في كتب الأخبار والإستدلال، أحببنا أن نضيف إلى ذلك:

كشف الجواب
(عمّا تضمّنه خصوص ذلك الكتاب)

واللّه الملهم للسداد والصواب، فنقول: أمّا ما ذكرت من الإنكار علىٰ كثير من الناس الإستغاثة بغير اللّه ودعوة غير اللّه.

فأقول: إن أُريد بدعوة غير اللّه والإستغاثة إسناد الأمر إلى المخلوق[١] علىٰ أنّه الفاعل المختار الذي تنتهي إليه المنافع والمضارّ، فذلك من أقوال الكفّار، والمسلمون بجملتهم براء من هذه المقالة ومن قائلها[٢]، وما أظنّ أنّ أحداً ممّن في بلاد المسلمين يرىٰ هذا الرأي، ولاٰ سمعناه من أحد إلىٰ يومنا هذا.

وإن أُريد أنّ المدعوّ والمستغاث به له اختيار وتصرّف في أمر اللّه، فيحكم على اللّه، فهذا أشدّ كفراً من الأوّل.

وإن أُريد دعاؤه والإستغاثة به للدعاء والشفاعة، أو من التصرّف في

---

(١) في «ط»: والإستغاثة استغاثة الى المخلوق.

(٢) في «ط»: ومن قالها.

العبارة[١]، كما تقول: يا رحمة اللّه، ويا بيت اللّه، ويا عبد اللّه، ولاٰ تريد إلاّ نداء اللّه ودعائه واستغاثته، فهذا من أعظم الطاعات، وفيه محافظة على الآداب من كلّ الجهات.

وكون الدعاء عبادة إنّما يجري في قسم منه، وهو الطلب من الخالق المدبّر الذي جلّ شأنه عن الأشباه والنظائر. ولو جعلت كلّ دعاء عبادة، للزم أن دعاء زيد لإصلاح بعض الأُمور، أو دفع بعض المحذور، وطلب الأفعال، كلّها من قبيل الكفر.

فالسؤّال والأزواج والعبيد والخُدّام في طلب المأكل والملابس مربُوبون، ومقابلوهم أرباب، فيكون ذلك مكفراً، وإن أقررت[٢] بالتخصيص خصّصناه بما ذكرناه[٣].

وبيانه: أنّ لفظ «الدعاء» لاٰ نراد منه[٤] المعنىٰ اللغويّ، وإلاّ لكفر[٥] جميع الخلق، فالمراد دعاء العبوديّة والمربوبيّة، كمن دعا الأصنام أو الصالحين، مع إعتقاد ربوبيّتهم، وقصده عبُوديّتهم، مكتفّين بها عن عبادة اللّه، أو مشتركين[٦] أُولئك مع اللّه، لقصد وصول النفع منهم، وليقربوا إلى اللّه زلفىٰ.

وأمّا ما ذكرته من النذر لغير اللّه، والذبح لغير اللّه، [وهذا أيضاً إن

(١) في «ط»: العبادة.
(٢) في «ط»: أقرره.
(٣) في «ط»: ذكره.
(٤) في «ن»: به.
(٥) في «ط»: كفر.
(٦) في «ن»: مشركين.

أُريد أنّهم يذبحون مهلّين باسم غير اللّٰه، أو ينذرون تعبّداً لغير اللّه][1].
فذلك لم يصدر من أحد من المسلمين، وكلّ من فعل ذلك، فهم منه براء، سواء كان ذلك عبادة لغير اللّه، أو كان لأجل أن يقرّب إلى اللّه.

وأمّا لو كان من باب إهداء ثواب المذبوح والمنحور والمنذور إلىٰ أولياء اللّه وعباده الصالحين، فهو من أعظم الطاعات، وأفضل القربات، وقد بيّنا ذلك في بعض المقامات.

قولك: إنّ ذلك حقيقة دين المشركين أعداء رسل ربّ العالمين، كقوم نوح وعاد وثمود، وقوم إبراهيم، فأخبر اللّه عنهم بذلك في كتابه المبين، حيث يقول وهو أصدق القائلين ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ ما لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هٰؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللّٰهِ﴾[2] فأخبر اللّه أنّهم ما عبدوهم[3] إلاّ ليقرّبوهم إلى اللّه زلفىٰ، وقال سبحانه وتعالىٰ ﴿ما نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِيُقَرِّبُونا إلَى اللّٰهِ زُلْفىٰ﴾[4].

فتأمّل كيف أخبر اللّه سبحانه عنهم أنّهم ما قصدوا بعبادتهم غير اللّه إلاّ التقرّب إلى اللّه والشفاعة عنده، وإلاّ فهم مقرّون أنّ اللّه هو المدبّر لهذا العالم العلوي والسفلي، كما أخبر اللّه عنهم أنّهم أقروا بذلك، قال اللّه تعالىٰ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّٰه

---

(١) ما بين المعقوفتين أثبتناها من «ن».

(٢) يونس: ١٨.

(٣) في «ط»: يعبدوه.

(٤) الزمر: ٣.

قُلْ أَفَلاٰ تَتَّقُونَ﴾[١] انتهى.

أقول: إنّ لكلّ حقّ حقيقة، ولكلّ[٢] صواب نوراً، أنّ عبدة غير اللّه قد اتّخذوا آلهة غير اللّه تعالىٰ أو مع اللّه، وجعلهم أنداداً وأمثالاً للّه، قال اللّه تعالىٰ: ﴿أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ ماٰ لاٰ يَمْلِكُ لَكُمْ نَفْعاً وَلاٰ ضَرّاً﴾[٣] وقال: ﴿فَلاٰ تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أَنْداٰداً﴾[٤]. وقال: ﴿وَجَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكاٰءَ الجِنَّ﴾[٥] وقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذينَ قاٰلُوا إنَّ اللّٰهَ ثاٰلِثُ ثَلاٰثَةٍ﴾[٦] وقال: ﴿ياٰ عيسىٰ بنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُوني وَأُمّي إلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّٰهِ﴾[٧] وقال: ﴿أئنّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّٰهِ آلِهَةً أُخْرىٰ﴾[٨] وقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذينَ قاٰلُوا إنَّ اللّٰهَ هُوَ المَسيحُ بْنُ مَرْيَمَ﴾[٩].

ثمّ المذمّة لم تكن على اعتقاد الشفاعة، أو التقرّب[١٠] زلفىٰ، بل على العبادة بهذا القصد، والمراد بالعبادة أعمال خاصّة كما بيّنا.

وقولك «إنّ ذلك حقيقة دين المشركين، كقوم نوح وعاد وثمود» [كيف ذلك؟! وقد أخبر اللّه عنهم بقوله ﴿ ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم

---

(١) يونس: ٣١.
(٢) في «ن»: وعلىٰ كلّ.
(٣) المائدة: ٧٦.
(٤) البقرة: ٢٢.
(٥) الأنعام: ١٠٠.
(٦) المائدة: ٧٣.
(٧) المائدة: ١١٦.
(٨) الانعام: ١٩.
(٩) المائدة: ١٧ و٧٢.
(١٠) في «ن»: للتقريب.

قوم نوح وعاد وثمود﴾][1] إلىٰ قوله ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾[2] وأخبر عن قوم[3] عاد أنّهم قالوا لهُود: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾[4] وقوم صالح أنّهم قالوا: ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾[5] وقوم شعيب أنّه قالوا له: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾[6] وعن قوم إبراهيم أنّهم كذّبوا الرّسل.

فهٰؤلاء الطوائف بصريح القرآن كذّبوا الرسل، وردّوا قولهم، وعاندوهم، فلو كانوا مقرّين لكانوا كفّاراً لكفر العناد[7] ككفر إبليس.

فيا أخي أقسمت عليك بمن خلقنا من تراب، ثمّ أودعنا الأصلاب[8] أن تترك الجدال وتتأمّل في حقيقة الحال، كيف تشبّه أعمال المسلمين بأعمال عبدة الأصنام وغيرها؟ مع أنّهم أنكروا نبوّة الأنبياء، وردّوا عليهم بعد أن أمروهم، ولم يسمعوا لهم قولاً، ولا قبلوا لهم فعلاً.

ثمّ انّهم عبدوا طواغيتهم بالعبادة الحقيقيّة، لاعتقاد أنّ لهم تصرّفاً في الأكوان، أو في ارضاء الملك الديّان، وإلاّ لم يذمّهم الرحمٰن، ولا أنكر عليهم كلّ فعل كان.

---

(١) ما بين المعقوفتين أثبتناه من «ن».

(٢) ابراهيم: ٩.

(٣) في «ط»: وأخبرها قوم.

(٤) هود: ٥٣.

(٥) هود: ٦٢.

(٦) هود: ٨٧.

(٧) في «ط»: بكفر العبادة.

(٨) في «ط»: الى الأصلاب.

ثمّ تعلّلوا بأنّا لا نقدر على عبادة اللّه سبحانه، فنعبدهم ونكتفي بعبادتهم وهم يقرّبونا، كما أوردنا بذلك بعض الرّوايات في بعض المقامات.

وعلى كلّ حال لا يتأمّل مسلم في أنّ العبادة الحقيقيّة من الصلاة والصيام وغيرهما لا تكون لغير اللّه، فإن كان التصدّق عن الأولياء والذبح لهم والنذر لهم عبادة لهم، فنحن عبيد آبائنا وأُمّهاتنا وأمواتنا الذين نتصدق عنهم، أو ننذر لهم، ونذبح لهم.

وإن كان طلب الدعاء منهم [وندبتهم على الدعاء][1] والشفاعة كفراً، فعلى الإسلام السلام، فإنّه ليس في الوجود أحداً لا يلتمس الدعاء من إخوانه، ويستغيث بهم في طلب نجاتهم، وإنّ دعاء المؤمن للمؤمن أسرع إجابة؛ لأنّه دعاء بلسان لم يعص[2] به.

فيا أخي المقاصد متفاوتة، وإنّما الأعمال بالنيّات ولكلّ امرىءٍ ما نوى[3]، فربّ كلمة ظاهرها الإسلام، تصير بالنيّة كلمة كفر، وبالعكس.

وأمّا قولك: فإنّ الذّي يفعل عندنا في مشهد علي رضي اللّه عنه من: دعوة، واستغاثة، ورجاء، وخوف، وخشية. انّه ليس بعبادة، فإنّهم ما

---

(١) ما بين المعقوفتين من «ن».

(٢) في عدّة الداعي [١٢٨]: روي أنّ اللّه تعالى قال لموسى: أُدعني على لسان لم تعصني به، فقال: يا ربّ أنّى لي بذلك؟ فقال: أُدعني على لسان غيرك. ورواه في بحار الانوار ٩٣: ٣٦٠ ح ٢٣.

(٣) روى الشيخ الطوسي في التهذيب [٤: ١٨٦] قال: روي عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: الأعمال بالنيّات. وروي بلفظ آخر، وهو أنّه قال: إنّما الأعمال بالنيّات ولكلّ امرىء ما نوى.

قصدوا بدعوتهم عليّاً وغيره إلاّ ليشفع لهم عند اللّه.

فان قلت: أُولئك يدعون الأصنام، ونحن لا ندعوا إلاّ الصالحين.

قلنا: وكذلك المشركون منهم يدعون الصالحين ويعبدونهم مع اللّه، كعيسىٰ ومريم والملائكة.

فإن قلتم: إنّ الدعوة لا تسمّىٰ عبادة.

قلنا: بل هي عبادة وأيّ عبادة، ففي الحديث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: الدعاء هو العبادة[1]. وقوله تعالىٰ ﴿ادْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2].

وأصل دين الإسلام هو إخلاص العبادة، ولا يقبل اللّه من الأعمال إلاّ ما اجتمع فيه شرطان:

الأوّل: أن يعبد اللّه وحده.

الثاني: ألاّ يعبد إلاّ بما شرع علىٰ لسان رسوله، كما قال اللّه تعالىٰ: ﴿فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[3].

أقول: إن كان المدار على الصور دون الحقائق، فسجُود الملائكة لآدم، وسجود يعقوب ليوسف، قاض بأنّهما عبدا غير اللّه.

فإن قلت: بأنّ تعلّق ارادة الشرع دفعت المنع. فقد أوردنا من الأخبار وكلام الصحابة ما يفيد عدم المنع، من أمثال الصور التي ذكرت.

ثمّ باللّه عليك أنصف ما الفرق بين قول الصدّيق لصاحبه في السجن

---

(١) كنز العمّال ٢: ٦٢ برقم ٣١١٣، و٦٧ برقم: ٣١٥١.

(٢) غافر: ٦٠.

(٣) الكهف: ١١٠.

﴿أُذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾[1] وبين قولنا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: أُذكرني عند ربّك.

ثمّ كيف باستعانة وليّ موسى[2] ولم يحكموا عليه بالكفر؟ ثمّ كيف باستعطام موسىٰ والخضر أهل القرية[3]؟ ثمّ كيف يقول أصحاب موسىٰ ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلىٰ طَعٰامٍ واٰحِدٍ فَادْعُ لَناٰ رَبَّكَ﴾[4] ثمّ ما معنىٰ قول الاسباط ليعقوب ﴿إسْتَغْفِرْ لَناٰ ذُنُوبَناٰ﴾ فقال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾[5].

وعلىٰ كلّ حال إن أُريد الحقائق في الإستغاثات والدعوات وغيرها، ففي ذلك خروج عن طريقة الإسلام، وإلاّ فلا بأس، وإلاّ للزم ألاّ يخرج من الكفر أحد من العالم، فلا يمكنك واللّه ولاٰ يسعك ألاّ تقول إنّما يراد دعاء خاصّ واستغاثة خاصّة ونحو ذلك، فيرتفع المحذور.

وأمّا من قصد حقيقة العبادة مع غير اللّه، ليتقرّب إلى اللّه زلفىٰ، أو لغير ذلك، فهو خارج عن ربقة الإسلام[6].

وما ذكرتم من أنّا نفرّق بين الصالحين وغيرهم، فمعاذ الله أن نفرّق بين

---

(١) يوسف: ٤٢.

(٢) اشارة الى قوله تعالى ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوّه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوّه فوكزه موسى﴾ القصص: ١٥.

(٣) اشارة الى قوله تعالى ﴿فانطلقا حتّى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيّفوهما﴾ الكهف: ٧٧.

(٤) البقرة: ٦١.

(٥) يوسف: ٩٧ - ٩٨.

(٦) في «ط»: المسلمين.

من[1] يعبد موسى أو محمّداً صلّى اللّه عليه وآله، أو يناديهم ويدعُوهم، أو يستغيث بهم أحياءً وأمواتاً، أو يلجأ إليهم علىٰ أنّ لهم الأمر أو ليقرّبوه زلفىٰ، وبين من يعبد فرعون وهامان وإبليس.

أين النفوس المقرونة بالأبدان التي تتغيّر من أدنىٰ حوادث الزمان، ولاٰ زالت مورداً للأمراض، ومحلاًّ للأغراض، لاٰ تدفع شيئاً من حوادث الدهور[2]، وليس لها في كلّ الأُمور من أمر من رتبة المعبُود. ومن لاٰ يصلح لغيره الركوع والسجود، إنّما هم عبيد زادت علينا عبُوديّتهم، وخدّام سبقت خدمتنا خدمتهم.

فإنّ أمرنا بتقبيل بنائهم، أو تعظيم أبنائهم، أو التماس دعائهم، فعلنا إمتثالاً لأمر ربّنا، كما صنعنا ذلك في أحجار الكعبة وأركانها. وإن نهانا تركنا؛ إذ لاٰ خوف إلاّ من اللّه، ولاٰ رجاء إلاّ له.

وأمّا قولك: إنّه قد ورد في الحديث عن الصادق الصدوق، قال: عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديّين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجد، وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإنّ كلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة[3].

وفي الحديث الثاني، قال: إفترقت اليهود والنصارىٰ عن اثنين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأُمّة عن ثلاثة وسبعين فرقة، كلّها في النار

---

(١) في «ط»: بين أن.

(٢) في «ن»: الدهر.

(٣) سنن الترمذي ٥: ٤٣ برقم: ٢٦٧٦، وسنن ابن ماجة ١: ١٥ - ١٦ برقم: ٤٢، وسنن أبي داود ٤: ٢٠٠ - ٢٠١ برقم: ٤٦٠٧، وكنز العمّال ١: ٢١٢.

إلاّ واحدة، وسئل عن الواحدة، فقال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي[1]. إنتهى.

أقول: اللهمّ إنّي رضيت بسنّة[2] الراشدين حكماً، وبما عليه أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه وآله متمسّكاً وملتزماً، فأُحلّ ما أحلّوه[3]، وأفعل ما فعلوه. وهذه أقوالهم وسيرتهم في هذه الرسالة أوضحتها، فلا أزيغ عنها، ولاٰ أبعد مسافة منها، فنتّبع ما رويت من أخبارهم، ومانقلت من آثارهم، رزقني اللّه وإيّاكم حلاوة الإنصاف، وجنّبنا مرارة الجِدال والإعتساف.

وأمّا قولك: فلا تغتر بالكثرة وهذا الثابت عن نبيّك، واللّه يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[4] وقال: ﴿إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[5]. وفي الحديث: إنّ بعث الجنّة من الألف وأحد، فأنت اختر لنفسك، والمهديّ من هداه اللّه إنتهىٰ.

أقول: يا أخي الوصيّة مشتركة بيني وبينك، فالذي عليّ ألاّ تأخذني حميّة الآباء والأجداد، وحبّ الطريقة المأنوسة بين العباد، بل أنظر بعين البصيرة وإخلاص السريرة.

وأمّا أنت فإنّي أخشىٰ عليك من حبّ الإنفراد، حتّىٰ لاٰ تكون كبعض الآحاد، فإنّ الأصابع لم تزل ممدودة إلىٰ من ركب جادّة غير معهُودة،

---

(١) كنز العمّال ١: ٢١١ برقم: ١٠٦٠، و١١: ١١٤ - ١١٥.

(٢) في «ط»: لسنّة.

(٣) في «ط»: فأصلى ما أصلوه.

(٤) سورة سبأ: ١٣.

(٥) الأنعام: ١١٦.

وقد ورد في المثل: خالف تعرف.

ثم إنّي والله أخشىٰ عليك من جهة أنّك كنت خالي البال، بعيد عن هذه المحال فوردت[1] عليك شبهات[2] لم تستطع ردّها، وخيالات لم تبلغ حدّها، فكان الحال كما قال: صادف قلباً خالياً متمكّناً[3].

وأمّا اليوم، فليس لك عند الله عذر، فقد[4] علمت الأخبار، وسمعت بطريقة الخلفاء الأبرار، فأجدّ نظرك، واستعمل فكرك، واخلع عن نفسك ربقة التقليد، واطلب من ربّك التأييد والتسديد.

ثمّ ما ذكرت إنّما يدلّ علىٰ أنّ الحقّ مع القليل من المكلّفين لا من المسلمين، فإنّ أكثر أهل الأرض كفّار من يهود ونصارىٰ ومشركين وجاحدين وغيرهم، حتّىٰ أنّ نسبة أقلّ المسلمين إلىٰ سائر الأقاليم أقلّ قليل.

فنحن نقول بأنّ من أطاع أكثر الخلق ضالّ؛ لأنّ أكثر الناس من أهل الكفر والضلال، وانّ الشكور قليل، وانّ بعث أهل الجنّة من الألف وأحد، ولو استندت في هذا إلىٰ حديث الفرق، فوحدة الفرقة لا تنافى زيادة أفرادها علىٰ ألف فرقة.

والحقّ أنّه لا ملازمة بين القلّة والكثرة، وبين الحقّ والباطل، فكم من قليل هدي إلى الصواب، وكثير حلّت به المؤاخذة والعقاب، وكم قد انعكس الأمر في هذا الباب، والمدار على طلب العصمة والنجاة من ربّ

---

(١) في «ط»: فردت.

(٢) في «ط»: بشهادة.

(٣) في «ط»: فتمكنا.

(٤) في «ن»: لقد.

الأرباب.

والحمد للّه وحده، وصلّى اللّه علىٰ نبيّه سيّد الأوّلين والآخرين، وسلّم تسليماً كثيراً، ولا حول ولا قوّة الاّ باللّه العليّ العظيم.

تمت هذه الرسالة الوجيزة المشتملة على فوائد جليلة، اللهمّ اختم عواقب امُورنا بالخير، واعصمنا من شرّ هذه الأيّام بمحمّد وآله.

وتمّ تحقيق الكتاب وتصحيحه والتعليق عليه في اليوم الأوّل من شهر رمضان سنة ألف وأربعمائة وثلاث عشر هجريّة على يد الفقير السيّد مهدي الرجائى عفي عنه في بلدة قم المقدّسة.

الفهارس

«لفت نظر»

إستخرجنا الفهارس من متن الكتاب فقط دون المقدّمة والهوامش تسهيلاً للمراجع.

المحقق

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأعلام

فهرس الكتب

فهرس الأماكن

فهرس الأبيات

فهرس االمحتوى